رواء
مجلة فكرية دورية

• اذبحوا بقرتكم
• إذا كان الدين يسرًا، فلماذا نشعر بالمشقة في الالتزام به؟
• تربية الدوافع السلوكية في القرآن.. أساليب وطرائق
• لماذا لم تتساوَ النساء بالرجال حتى في أكثر الدول تقدّمًا؟
• أدوار الفرق المنحرفة في تشويه التاريخ الإسلامي

فَعَلَيكُمُ النَّصرُ

العدد الثالث والعشرون
ربيع الآخر ١٤٤٥هـ - تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٢٣م
23

هذه المجلة

(رَواء) مجلة فكرية تُعنى بالإنتاج العلمي والدعوي والتربوي والاجتماعي، وتسعى أن تكون منارة في أرض الشام المباركة، تُشع بالعلم والمعرفة من خلال المجالات الآتية:

- الأصالة والانطلاق من ثوابت الدين والأمة، وتعزيزها في النفوس.
- بث القيم الحضارية وروح النهضة في المجتمع.
- تعزيز جانب الائتلاف وجمع الكلمة بين صفوف الأمة.
- إثراء الساحة بمقالات متميزة تلامس الواقع، في قضايا المنهج والتجديد والإصلاح.

ترحب مجلة رواء بمقالاتكم العلمية والفكرية

ضمن المحاور الأساسية للمجلة

تأصيل	حضارة وفكر	دعوة	نظرات نقدية	قضايا معاصرة	تزكية	قراءات
مواد تتناول تأصيل المنهج، وتقعيده ووضع ضوابطه وأسسه بصورة بنائية	مواد تتناول قضايا حضارية وفكرية	مواد تتناول فقه وأصول الدعوة، والأساليب والوسائل والتجارب الدعوية	لتصحيح المفاهيم والتصورات	مواد تتناول السياسة الشرعية ومآلات الأمور، وتطبيقات المصالح والمفاسد على القضايا المستجدة	في التربية والتزكية والأخلاق	قراءات في الكتب والرسائل العلمية ونقدها وإظهار محاسنها

ويشترط ألا يزيد حجم المادة المرسلة عن ٣٠٠٠ كلمة، وأن تكون المادة مكتوبة أصالة للمجلة وغير منشورة من قبل، وأن تراعى فيها سياسات النشر في المجلة

ترسل المقالات والمواد إلى البريد الإلكتروني:
rawaa@islamicsham.org

سياسات النشر في المجلة

١. تنشر المجلة المقالات التي تثري محاورها الأساسية.
٢. تلتزم المجلة سياسة التحرير الهادئة، وتجنب النقد الجارح وما يثير النزاعات والفتن.
٣. لا تنشر المجلة ما يجعلها طرفاً في صراعات دولية أو إقليمية أو محلية.
٤. يُحكّم المقالات الواردة للمجلة متخصصون في موضوعاتها.
٥. أن يكون البحث أصيلاً ومخصصاً للمجلة، ولم يُنشر في أيّ وسيلة نشر إلكترونية أو ورقية، ولم يقدَّم إلى أيّ جهة أخرى للنشر.
٦. تنشر المقالات بالأسماء الصحيحة والصريحة لأصحابها.
٧. تلتزم المجلة بإخبار الكاتب بقرارها من النشر أو عدمه خلال شهر من استلام المقال.

هيئة الشام الإسلامية

رَواء

مجلة رَواء

دورية فكرية تصدر كل شهرين

أسرة التحرير

د. عماد الدين خيتي
رئيس التحرير

أ. ياسر المقداد
مدير التحرير

أ. محمود درمش
سكرتير التحرير

أ. جهاد خيتي

أ. عبد الملك الصالح

التصميم والإخراج الفني

موشن ان
Creative Agency
motionat.com

تكتب جميع المراسلات باسم رئيس التحرير، وترسل إلى:
rawaa@islamicsham.org

www.rawaamagazine.com
www.islamicsham.org

rawaamagazine

١
فَعَلَيكُمُ النَّصرُ

٢
اذبحوا بقرتكم

٣
إذا كان الدين يُسرًا، فلماذا نشعر بالمشقة في الالتزام به؟

٤
تربية الدوافع السلوكية في القرآن.. أساليب وطرائق

٥
أدوار الفرق المنحرفة في تشويه التاريخ الإسلامي

٦
لماذا لم تتساوَ النساء بالرجال حتى في أكثر الدول تقدّمًا؟

٧
هدايات من قصة آدم عليه السلام

٨
تعدُّد الزوجات.. وأثرهُ في حماية المجتمع

٩
دور المرأة في تعزيز السلوك الإيجابي عند الرجل

١٠
الحياة الثقافية والاجتماعية عند التابعين

١١
قراءة في كتاب: «إسلام السوق» لباتريك هايني

١٢
بأقلام القراء

١٣
ذَلِكَ الفَوزُ الكَبير

كلمة التحرير

فَعَلَيكُمُ النَّصرُ

الفهرس

الأحداث التي تعيشُها فلسطين ليست مفاجئة، ولم تبدأ في السابع من تشرين الأول- أكتوبر ٢٠٢٣م، بل هي حلقةٌ من سلسلةٍ طويلةٍ من الأحداث التي بدأت قبل أكثر من مائة عام، والتي تُوِّجَت بمحاولة زعيم الصهيونية «تيودور هرتزل» الحصول على أراضٍ من فلسطين من السلطان العثماني «عبدالحميد الثاني» ليُسكِنَ فيها اليهود ضمن حكم الدولة العثمانية، وبذل في ذلك الكثير من الجهود والعروض السخية، فلما عجز عن الحصول على أي تنازلٍ منه، شارك في تأليب الرأي العام ضد السلطنة العثمانية الذي كانت تمارسه العديد من الجهات الدولية، واستغلَّ في ذلك كلَّ الأوراق التي يستطيع التأثير بها، بما في ذلك الصحافة الأوروبية والعلاقات الدولية والمال الذي تمتلكه الحركة الصهيونية[1].

وجاءت الفرصة مواتيةً للصهيونية بعد هزيمة ألمانيا وحُلفائها في الحرب العالمية الأولى، واقتسام المنتصرين أراضي الدولة العثمانية بما في ذلك بلاد الشام، حيث كانت فلسطين من نصيب بريطانيا، فقدَّم وزير خارجيتها (بلفور) وعده المشؤوم بإنشاء وطن قوميٍّ لليهود في فلسطين عام ١٩١٧م.

وبعد ذلك بدأت (٤) سلاسل متوازية من الأحداث:

» تسلل العصابات اليهودية المسلحة إلى فلسطين تحت حماية بريطانيا، وتمكينهم من تملُّك الأراضي بالشراء والغصب، والسياسة، والتخويف بالمجازر، انتهاءً بإعلان دولتهم عام ١٩٤٨م.

(١) يخلط البعض بين الحركة الصهيونية وبين اليهودية؛ فالحركة الصهيونية هي حركة سياسيةٌ عنصرية تقوم على فكرة توطين اليهود في فلسطين، وتضم في صفوفها كثيرًا من اليهود الذين يدعمون هذه الفكرة، وعددًا من النصارى الذين يؤمنون بضرورة قيام دولة لليهود وبناء الهيكل حتى يأتي المسيح.. بينما يمتنع جزء من اليهود عن دعم هذه الفكرة، وكذلك كثير من النصارى.. كما أن قيام دولة إسرائيل في أراضي فلسطين حصل بتوجيه ودعم الدول الغربية، ولولاها لما قام ولا استمر، فهو جزء من المشروع الاستعماري أكثر من كونه مشروعًا يهوديًا بالأساس. وهو يحقِّق لهم التخلص من اليهود في بلدانهم.

- دعم دولة الكيان ومؤازرته سياسيًا واقتصاديًا وعسكريًا من طرف الدول والقوى الاستعمارية الكبرى.
- الخذلان والخزي من قادة الدول العربية والإسلامية، التي تدرَّجت من تدجين الشعوب وإلهائهم، إلى التطبيع مع المحتلِّ والتعاون معه، مع قمع كل صوت معارضٍ ومعترضٍ ومقاومٍ لهذا الاحتلال.
- صفحات البطولة والفداء التي تمثَّلت في مُقاومة المحتل وجهاده.

وهكذا تدرَّجت القضية الواضحة العادلة من كونها قضيةً إسلامية تعني كلَّ المسلمين، إلى قضية عربية قومية تنادي بها تيارات عروبية قومية علمانية، إلى قضية فلسطينية موكلةٍ بالقيادات الفلسطينية المتصدِّرة في المؤتمرات والأروقة السياسية الدولية، وانتهى بها الحال إلى اعتبار غزة حالةً خاصةً مستعصيةً على المجتمع الدولي، تستحقُّ كلَّ أشكال الحصار والتضييق وقطع الإمدادات عنها، حتى تركعَ تحت ضغط التجويع والتدمير والقتل، وتفقدَ دفاعها عن القضية.

إنَّ تمكُّنَ المقاومة الفلسطينية من القيام ببعض العمليات ضد الكيان المحتل وإيلامِهِ بها، لا يجعلهم أبدًا في موقف الظالم المعتدي، بل هم مظلومون في أرضهم ودمائهم، والكيانُ الغاصبُ ظالمٌ بالاحتلال والجرائم طيلة السنوات المائة الماضية، وهو ظالم في مجازره الجديدة في الأحداث الجارية

إشكالية السردية:

اتَّضح للجميع خلال الأحداث الأخيرة أنَّ المجتمعِ الدولي بحكوماته ومنظماته الأممية يُحاكم الأحداثَ الأخيرةَ على أنَّ الكيان المحتل دولةٌ شرعيةٌ صاحبة حقٍّ وأرض! وأنَّ له الحق في العيش الآمن، وأنَّ أصحاب الأرض من الفلسطينيين عليهم أن يتعاملوا مع المحتل ضمن هذه النظرة بمنطق الأمر الواقع، وأنَّ أيَّ محاولةٍ منهم لمقاومته أو مضايقته سيتعبرُها المجتمع الدولي اعتداءً يعطي الحقَّ للكيان بالردِّ عليه بالطريقة التي يراها مناسبة.

كما تحوَّلت اعتداءات الغاصبين على مقدسات المسلمين وخصوصًا على أولى القبلتين، وعملهم على هدمه من أجل إقامة «الهيكل» المزعوم، إلى استعادة مشروعةٍ لمعبدهم لإقامة طقوسهم الدينية!

واتَّضح أيضًا للجميع ضرورة إحكام الرواية الحقيقية للأحداث، ونشرها في مختلف الأوساط ووسائل الإعلام، بدءًا من وعد بلفور، مرورًا بمرحلة الميليشيات والعصابات الصهيونية ومجازرها حتى عام ١٩٤٨م، وإعلان قيام الكيان والاعتراف الدولي به، وتتابع الأحدث حتى يومنا هذا، بما في ذلك التهجير الذي تشهد به المخيمات الفلسطينية داخل فلسطين وفي دول الجوار، والقرارات الأممية التي أدانت الجرائم التي ارتكبها الكيان في داخل فلسطين وخارجها، في سرديةٍ مُدوَّنة محفوظة، يعرفها المطلعون، ويتغافل عنها شركاء الاحتلال بل يحاولون مَحوَها من الذاكرة والتاريخ.

تبعات السردية الباطلة:

السردية الباطلة التي يروِّجها الكيان وأنصاره المتحكِّمون بالسياسة والإعلام العالمي نجحت إلى حدٍ كبير في العقود الأخيرة، خصوصًا بعد الاتفاقيات بين الكيان الغاصب والمنظمات

الفلسطينية أو مع الدول العربية، وحققت مرادها من عزل الشعوب عن القضية والمطالبة بالحق فيها، إلى درجة خلقِ تفاوُتٍ بين الناس في تصور القضية، وصار هناك بالفعل منَ يكتفي بالمطالبة بحدود ما قبل نكسة ١٩٦٧م المتضمِّن إعطاءَ الحقِّ للكيان في أراضي ١٩٤٨م، وهناك من يرى العملَ على التعايُش وإحلالِ السلام ضمن الوضعِ الحالي، ومنعَ أيِّ اشتباكٍ أو قتالٍ مهما كانَ، ناسيًا أو متناسيًا أنَّ مثل هذه المطالبة تعني إقرارَ الغاصب على ما استولى، ومنع المظلوم من استرداد حقه.

كما ظهر من يَحرِفُ القضية عن أساسها وأصلها وسببها المباشر؛ وهو الاعتداء على المسجد الأقصى ومحاولة تهويد المقدسات الإسلامية، إلى حصرها بالصراع على الأرض وتقسيمات الحدود!

> **مِن أهم مسؤولياتنا: حمايةُ القيم لدى الأجيال الحالية والقادمة، وهذا لا يتحقَّقُ بالسكوت والدعة وتجاهل الأحداث، ولا بالتفاعل البارد الذي نحتال به على أنفسنا، فكيف سنعلِّم أبناءَنا نُصرة المظلوم إذا قعدنا عنها، وكيف سنُعلِّمهم مبدأ الجسد الواحد إذا لم نبال بما يحدُثُ ولم نتأثَّر به؟!**

ومع الغفلة وطول العهد واعتياد الدّعَة وانتشار الخيالات الحالمة بالعيش الرغيد، خرجت أصواتٌ تلوم المقاوِم وتُحمِّلُه مسؤولية جرائم المحتل في تدمير المنشآت المدنية وقتلَ المدنيين، وكأنَّ له الحقَّ في فعل ما يشاء، في عقلية لا تنم إلا عن انهزام عميق وتخاذلٍ مُخزٍ، أو تبعيةٍ لهذا النظام الاستعماري، لا يرى إلا ما يراه، ولا ينظر إلا من خلال منظومته الفكرية والاجتماعية والسياسية، ويربط وجوده بنجاح هذا المشروع.

إنَّ تمكُّنَ المقاومة الفلسطينية من القيام ببعض العمليات ضد الكيان المحتل وإيلامِهِ بها، لا يجعلهم أبدًا في موقف الظالم المعتدي، بل هم مظلومون في أرضهم ودمائهم، والكيانُ الغاصبُ ظالمٌ بالاحتلالِ والجرائمِ طيلةَ السنوات المائة الماضية، وهو ظالمٌ في مجازره الجديدةَ في الأحداث الجارية.

نصرة المظلوم موقفٌ أخلاقي:

إلى جانب جدل السردية وحيثياتها؛ هناك موقفٌ أخلاقيٌّ ينبغي أن يقفه كلُّ عاقلٍ مع نفسه، وهو الوقوف مع الحقِّ ونبذُ الظلم، فالظالم بادٍ بوضوح، ويداه ملطَّختان بالدماء قتلاً وتشريدًا للأبرياء طيلة السنوات الماضية وما زال يفعل ذلك حتى اليوم، وله في كلِّ عامٍ اعتداءاتٌ لا تقف عند حدٍّ على المسجد الأقصى الشريف الذي لم تهدأ الأحداث حوله يومًا.

هذا الموقف من الظلم اتَّضح لمشركي قريش قبل بعثة النبي ﷺ، حيث تداعى عددٌ من قبائل قريش، فتعاقدوا وتحالفوا بالله ليكونُنّ يدًا واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يُردَّ إليه حقه، ثم مشوا إلى الظالم، فانتزعوا منه متاع المظلوم، فدفعوه إليه، وعُرِفَ هذا الحلف بحلف الفضول، وقال ﷺ عن هذا الحلف: (شهدت حلف المُطَيَّبين مع عُمومتي وأنا غلام، فما أُحبُّ أن لي حُمْرَ النَّعَم وأني أنكُثُه)[1].

العجيب أنَّ هذا الموقف الذي عرفه أهل الجاهلية بفطرتهم ومروءتهم لم يتمكَّن بعض المنتسبين للإسلام من الوصول إليه، مع أنهم يقرؤون النصوصَ الكثيرة التي يزخر بها كتاب الله وسنة نبيه ﷺ في نبذ الظلم والتحذير منه، وبالرغم من أنهم يعرفون عواقب الظلم وخذلانِ المسلمِ في الدنيا والآخرة، وعلى

(١) أخرجه أحمد (١٦٥٥)، وفي رواية الطحاوي (٥٩٧١): (شهدت حلفًا في دار ابن جدعان: بني هاشم، وزهرة، وتيم، وأنا فيهم، ولو دعيت به في الإسلام لأجبت، وما أحب أن أخيس به وأنَّ لي حمر النعم).

رأس هؤلاء أناسٌ ينتسبون إلى القومية العربية أو طلب العلم وتعليمه، فلا تكاد تسمع لهم صوتًا أو كلمةً في هذه القضية، ولا نخوةً كنخوة الجاهليين!

إنَّ مِن أهم الأمور التي ينبغي التنبُّه لها: حمايةُ القيم لدى الأجيال الحالية والقادمة، وهذا لا يتحقَّقُ بالسكوت والدعة وتجاهل الأحداث، ولا بالتفاعل البارد الذي نحتال به على أنفسنا، فكيف سنعلِّم أبناءَنا نُصرة المظلوم إذا قعدنا عنها؟ وكيف سنُعلِّمهم مبدأ الجسد الواحد إذا لم نبال بما يحدُثُ ولم نتأثَّر به؟! بل يتطلَّب الأمر النظرَ والبحثَ جِدِّيًا فيما يمكن عمله لتحقيق أثرٍ ملموسٍ على المستوى الفردي أو الجماعي.

وكم يجلس فتيان اليوم ليستعرضوا نكسات الأمس حين تفرَّق الشملُ وسُلبت الأرض وعاث الأعداء في بلادنا استعمارًا ونهبًا، مستغربين من جيل الأجداد: كيف رضي بما حصل؟ وكيف تركوا الأمور تصل إلى ما وصلت إليه من الذل والهوان؟! فها نحن نواجه بعض ما واجهوا، فماذا نحن فاعلون؟!

الرافضة والاستثمار في القضية:

دأبت إيران وأذيالها على استغلال القضية الفلسطينية للترويج لأنفسهم ومشروعهم، وقد خطَوا في ذلك خطواتٍ متقدِّمة في إيجاد قنوات متعدِّدة لدعم الفصائل السنية في فلسطين تحت سمع ونظر العالم «المعادي»، في الوقت الذي تُمنع الأنظمة «السنية» في المنطقة من تقديم أيِّ معونةٍ لهم! واستفادت إيران مما يتبع ذلك من الحصول على مواقف ثناءٍ وشكرٍ من هذه الفصائل لقاء هذا الدعم، وفي الوقت نفسه لم يرقُبْ هؤلاء الرافضة في أهل السنة إلاً ولا ذمّةً في العراق وسوريا واليمن، ودماءُ أهل السنة ما زالت تقطر جرَّاء جرائمهم في تلك البلدان، وحال السنة في لبنان ليس عن ذلك ببعيد، فكيف نتعامل مع هذا الدعم، وفي ظل هذه الظروف؟

في الواقع يقع اللوم الأكبر على من ألجأ أهل السنة في فلسطين إلى العون الإيراني، ولو قامت الدول العربية المحيطة بفلسطين ببعض ما يُنتظر أو يُطلب منهم لما تمكّن المحتلُّ من البقاء في فلسطين يومًا واحدًا. فالحصار والخذلان حصل من جيران فلسطين أكثر من المحتلِّ نفسه، أما إيران فلها مصالح في التوسع ومدِّ النفوذ، وإيجادِ موطئ قدم حيث تجدُ فرصةً، فهي تحقق مصالحها، وبهذا نستطيع فَهم موقف الفصائل السنية المقاومة التي باتت في موقف المضطر.

ومن المتفق عليه أنَّ بعض الخطوات التي قامت بها بعض القيادات منتقدَةٌ مرفوضة؛ كإعادة العلاقات مع النظام السوري المجرم، إلا أنَّ هذا ينبغي ألا يُلغي أصلَ الأُخوَّة، وأصلَ الموقف الذي هم فيه من جهاد المحتل ومقاومته وصدٍّ بغيه، خصوصًا أنَّ علاقتهم بإيران وأذنابها لم تتجاوز جزئية القضية الفلسطينية، ومواقفهم من بقية القضايا السنية معروفة.

الموقف هو المناصرة:

الموقف اليوم هو المناصرة، والمناصرة فقط، والوقوفُ مع صاحبِ الحقِّ في وجه الظالم الغاصِب، والجهرُ بذلك في كل محفلٍ ومناسبة، وبذلُ كلِّ ما يمكن في نُصرة القضية حتى نعذِر أنفسنا أمام الله، وحتى لا تتكرَّر المخازي في تمكُّن المحتلِّين وأذنابهم، وإكمال مخططات الأعداء؛ فهذا أدنى مراتب الولاء للمؤمنين والدفاع عن مقدسات المسلمين وحرماتهم.

وفي مثل هذه الظروف يجبُ التغاضي عن كلِّ ما يمكن أن يُعيق هذا الموقف من المشوِّشات والمخذِّلات والعلوُّ فوقها. أما

وجودُ الرافضة في المشهد[١] فينبغي ألا يقف حائلًا أمام نصرتنا لإخواننا بالغالي والنفيس، مع استمرار الحذر والتحذير من مخططاتهم وسوء منهجهم، ونثق بالله العليم القدير أنَّه سيفضح الرافضة واستغلالَهم للقضية عاجلاً أم آجلاً، فمن عاث في دين الله بالتحريف والضلال، وخاضَ في أعراض خير البشر بعد الأنبياء عليهم السلام، وولغت يده في دماء أهل السنة عبر العصور، وكان في صفِّ الأعداء على مرِّ الزمان، لا يمكن أن ينال شرفَ تحريرِ المقدسات، ومجدَ نُصرةِ المظلومين.

ما الذي يوقف هذه الحملة الشعواء إذا بقينا متفرِّقين متفرِّجين؟ فالمسلمُ أخو المسلم، ينصُرُه في الوقت الذي يحتاج فيه إلى نُصرته، قال ﷺ: (انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا)، فقال رجلٌ: يا رسول الله أنصره إذا كان مظلومًا، أفرأيت إذا كان ظالمًا كيف أنصره؟ قال: (تحجزه أو تمنعه من الظلم فإنَّ ذلك نصرهُ)[٢]. وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنَّه قال: (المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يُسلمه، ومن كانَ في حاجة أخيه كانَ الله في حاجته، ومن فرَّج عن مسلمٍ كُربةً فرَّج الله عنه كُربةً من كُرُبات يوم القيامة، ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة)[٣].

وعن جابر بن عبد الله وأبي طلحة الأنصاري رضي الله عنهما أنَّهما قالا: قال رسول الله ﷺ: (ما من امرئٍ يخذل امرءًا مسلمًا في موضع تُنتهك فيه حُرمته ويُنتقص فيه من عرضه إلا خذله الله في موطنٍ يُحبُّ فيه نُصرتَه، وما من امرئٍ ينصر مسلمًا في

---

(١) العلاقة بين الرافضة ودولة الكيان الغاصب ومن ورائها العالم الغربي، وحقيقة «العداء» بينهما أصبحت مفضوحة معروفة الطبيعة، بما يغني عن إعادتها هنا، وعلى الأخص موقفهم الحقيقي من دولة الكيان الغاصب، وما موقفهم المتخاذل من أحداث غزة الأخيرة إلا خير شاهد على هذا «العداء» الزائف، ولنا في تعاون أسلافهم الصفويين مع المستعمر البرتغالي ضد الدولة العثمانية عبرة وعظة.

(٢) أخرجه البخاري (٦٩٥٢).

(٣) أخرجه البخاري (٢٤٤٢).

موضعٍ يُنتقص فيه من عِرضه ويُنتهك من حُرمته إلا نصره الله فيٍ موطنٍ يحبُّ نُصرته)[1].

قال صاحب عون المعبود: «والمعنى: ليس أحد يترك نصرة مسلم مع وجود القدرة عليه بالقول أو الفعل عند حضور غيبته أو إهانته أو ضربه أو قتله إلا خذله الله»[2].

> **الموقف اليومِ هو المناصرة، والمناصرة فقط، والوقوفُ مع صاحبِ الحقِّ في وجه الظالم الغاصِب، والجهرُ بذلك في كلِ محفلٍ ومناسبة، وبذلُ كلِّ ما يمكن في نُصرة القضية حتى نُعذِر أنفسنا أمام الله، وحتى لا تتكرَّر المخازي في تمكُّنِ المحتلِّين وأذنابهم، وإكمالِ مخططَاتِ الأعداء**

بلاد الشام والتمحيص الكبير:

الظلم الذي شهدته بلاد الشام في القرن المنصرم ظلمٌ لا مثيل له في تاريخ البشر، فالنصيرية الباطنية في سوريا، واليهود الصهاينة في فلسطين تفنَّنوا في إذاقة أهل الشام ويلاتٍ وويلاتٍ في الإذلال والتنكيل والقتل والتشريد والاعتداء على المقدسات والمحرَّمات، وكما كان الرافضة ودول الشرق داعمين للنصيرية في سوريا، لم تتخلَّف دول الغرب عن دعم الكيان المحتل في فلسطين.

والله تعالى يبتلي عبادَه المؤمنين ويمتحنُهم بالبأساء والضراء لحكمٍ كثيرة، فالابتلاءات تكفِّر الخطايا وتمحوها، قال ﷺ: (ما يصيبُ المسلم من نَصَبٍ ولا وَصَبٍ ولا همٍّ ولا حزن ولا أذى ولا

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٨٨٤).

(٢) ينظر: عون المعبود (١٣/١٥٦).

غم، حتى الشوكةَ يُشاكُها إلا كفَّر الله بها من خطاياه)[١]. كما ترفع الدرجات وتضاعف الحسنات؛ سئل رسول الله ﷺ: أيُّ الناس أشدُّ بلاءً؟ قال: (الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل... فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة)[٢].

وتارة يقع البلاء لتمحيص المؤمنين، وتمييزهم عن المنافقين، قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٢-٣]. فيبتلي الله عباده ليتميَّز المؤمنون الصادقون عن غيرهم، وليُعرف الصابرون على البلاء من غير الصابرين.

وهذا التمحيصُ تعرَّض له المسلمون الأوَّلون في بطحاء مكة وحرِّها فصبروا، حتى مكَّنهم الله من حكم ما بين الخافقين، وتعرَّض له قبلَهم أتباع الأنبياء فصبروا حتى نالوا ما نالوا من الأجر والشرف العظيم.

وبلاد الشام خيرُ مدنها وحواضرها بيت المقدس وأكنافُها، فهي مسرى النبي ﷺ، وفيها من الفضائل أحاديث كثيرة، منها قوله ﷺ: (لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين، لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من خالفهم إلا ما أصابهم من لأواء، حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك) قالوا: يا رسول الله، وأين هم؟ قال: (ببيت المقدس، وأكناف بيت المقدس)[٣]، وتليها دمشق التي ستكون فسطاط المسلمين في الملاحم: (إنَّ فُسطاطَ المسلمين يوم الملحمة بالغوطة إلى جانب مدينةٍ يقال لها: دمشق، من خير مدائن الشام)[٤]، وعليها سينزل نبيُّ الله عيسى ابن مريم عليه السلام كما في حديث: (لا تقوم الساعة حتى ينزل فيكم ابن مريم حَكَمًا مُقسطًا)[٥]، وحديث:

(١) أخرجه البخاري (٥٦٤١) ومسلم (٢٥٧٣).
(٢) أخرجه الترمذي (٢٣٩٨) وابن ماجه (٤٠٢٣) وأحمد (١٦٠٧).
(٣) أخرجه أحمد (٢٢٣٢٠).
(٤) أخرجه أبو داود (٤٢٩٨).
(٥) أخرجه البخاري (٢٤٧٦).

(فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، بين مهرودتين، واضعًا كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ، فلا يحل لكافر يجد ريح نَفَسه إلا مات، ونَفَسُه ينتهي حيث ينتهي طرفه)، فينطلق من دمشق لقتل الدجال في فلسطين: (فيطلبه حتى يدركه بباب لُدٍّ فيقتله)[1].

ولعلَّ من المناسبِ هنا ذكرُ أنَّ الصحابةَ فتحوا مُدُنَ فلسطين لكنهم أخَّروا فتح بيت المقدس حتى انتهوا من فتح دمشق، وكذلك فعل نور الدين وصلاح الدين مِن بعده، فهاتان المدينتان بينهما رابط وثيق وصلة عميقة في الماضي والمستقبل.[2]

> **بيت المقدس ودمشق هما خير مدائن بلاد الشام وبينهما رابط وثيق زمن الفتوحات، وفي المستقبل وقت الملاحم، والتمحيصُ الذي تتعرَّضان له من أعداء الإسلام تمهيدٌ لأدوارٍ عُظمى في قابل الأيام**

نظرة تفاؤل:

نثق بوعد الله بأنه سينصر دينه ويعلي كلمته، وقد يبتلي الله عباده قبل النصر ليُمحِّصَهم وينقِّي صفَّهم من المنافقين والمتسلِّقين، وبعضُ النصر حاصلٌ اليوم بظهور حجَّة أصحاب الحق، وبيانِ عوار أهل الظلم والباطل، ووعي الأجيالِ الناشئةِ بحقيقةِ الأمرَ بالرغم من سيول الملهيات وطوفان الفتن التي تواجههم وتكاد تُغرقهم في التفاهة والرذيلة، لكن الله يقدر من الأحداث ما يُفشِل جهود أهل الباطل ويُبدِّد ظلامهم، ويجمع القلوب على الحق.

(١) أخرجه مسلم (٢٩٣٧)، ، مهرودتين: نوع من الثياب.

(٢) ينظر: مقالة «دمشق بوابة بيت المقدس»، م. طاهر صيام، مجلة رواء - العدد الخامس عشر.

قضايا معاصرة

اذبحوا بقرتكم

أ. محمود درمش
كاتب في قضايا التربية والفكر

الفهرس

أكثر القرآن الكريم من ذكر قصص بني إسرائيل وأحوالهم للتنبيه على الدروس المستفادة منها، والتربية بالإشارة لوقائعها والنتائج المترتبة عليها، ومن أشهر ما يتعلق بهم: قصصهم المتعددة مع البقر، فما أثرها في حياتهم وتاريخهم؟ وعلاقة المسلمين بهذه القصص؟ وكيف يستفيدون منها؟ وما أثر ذلك على مشروعهم في النهضة والتمكين؟ هذا ما ستعرضه هذه المقالة

قصص بني إسرائيل:

قصَّ الله تعالى في القرآن الكريم قصص الأمم السابقة في مواضع كثيرة وبصور مختلفة، ونظرًا لتفاوُت الغايات من إيراد القصص في المواضع المختلفة، فقد اختلفت في أسلوب ورودها، ومقدار شمولها، ودرجة تفصيلها، ومرات تكرارها.

ومن بين قصص القرآن تميَّزت قصة بني إسرائيل بالتكرار، والتفصيل، وتنوع زوايا التناول، وتعدُّد الفصول، والتوزيع على سورٍ متعدِّدة، في سلسلةٍ طويلة تبدأ بقصة يعقوب عليه السلام مع أبنائه، حتى ذكر اليهود المعاصرين لنزول القرآن الكريم.

وهذا التكرار ملفتٌ للنظر، ويفهم منه المتدبِّر وجودَ حكمةٍ وراءَه، ويمكن تلمُّس هذه الحكمة بالنظر إلى وجوه شبه بينهم وبين المسلمين، في كونهم أصحاب رسالاتٍ سماوية، مع تقاطعٍ كبير مع المناطق الجغرافية التي كانت مسرحًا لتاريخ بني إسرائيل، والتي ستكون لاحقًا ضمن سلطان المسلمين، وقل مثل ذلك عن وجوهٍ أخرى من التشابه أخبر النبي ﷺ بوقوعها في أمة الإسلام كما وقعت في أمتي اليهود والنصارى،

مثل الافتراق إلى فِرَق كثيرة[١]، وحصول التقليد من المسلمين لأمتي اليهود والنصارى[٢].

> **علمَ اللهُ أنَّ الصراع الذي ستخوضه أمة الإسلام مع أمتي اليهود والنصارى سيكون هو الأصعب والأعقد والأكثر بأسًا، فسرد في القرآن الكريم قصصًا وأعطانا فيها مفاتيح وإشارات لفهم طبائعهم وكيفية التعامل معهم**

وهذا بلا شك يتضمَّن الدعوة إلى أخذ العبرة مما جرى لهم، والحذر مما وقعوا فيه من الأخطاء، والسير وفق السنن التي جرت على أتباع أقرب الرسالات للأمة المحمدية زمانًا ومكانًا.

يقول الشيخ محمد الغزالي: «هل قصَّ الله علينا قصة بني إسرائيل تسليةً للمسلمين؟ لا، بل توعيةً للمسلمين؛ كأنه سبحانه وتعالى يقول للمسلمين: هذا تاريخ مَن سبَق، يُقرأ عليكم وحيًا مَعصومًا، وتَتْلونه في الصَّلوات وفي مجالِس الرحمة قُرآنًا يُذكِّر الناسين، ويوقظ الغافِلين؛ لكي يتعلموا، فهل تعلَّمتِ الأمة الإسلامية مِن تاريخ بني إسرائيل أن تَستبقي أسباب المدح، وأن تَستبعِد وسائل القدْح؟»[٣].

ويقول سيد قطب: «وقصة بني إسرائيل هي أكثر القصص ورودًا في القرآن الكريم، والعناية بعرض مواقفها وعبرتها عنايةٌ

---

(١) أخرج أبو داود (٤٥٩٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (افترقت اليهود على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة).

(٢) أخرج البخاري (٣٤٥٦) عن أبي سعيد رضي الله عنه أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لتتبعنَّ سَنن من قبلكم شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع، حتى لو سلكوا جُحر ضب لسلكتموه) قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: (فمن؟).

(٣) خطب الشيخ محمد الغزالي، خطبة: اليهود في ميزان القرآن، ص (٢٤٩).

ظاهرةٌ توحي بحكمة الله في علاج أمر هذه الأمة الإسلامية وتربيتها وإعدادها للخلافة الكبرى» ثم يردف: «وقد وردت القصة في السور المكية بغرض تثبيت القلة المؤمنة في مكة بعرض تجارب الدعوة وموكب الإيمان الواصل منذ أول الخليقة، وتوجيه الجماعة المسلمة بما يناسب ظروفها في مكة، وأما ذكرها في القرآن المدني بغرض كشف حقيقة نوايا اليهود ووسائلهم وتحذير الجماعة المسلمة منها، وتحذيرهم كذلك من الوقوع في مثل ما وقعت فيه قبلها يهود»[(١)].

ولعل من أهم الحكم أمران مهمان، وهما:

١. التمهيد لأمة الإسلام للتمكين الحضاري في الأرض، بذكر تجربة أُمَّتَي اليهود والنصارى قبلهم، وكيف حصل لهم التمكين، ثم كيف تعرَّضوا للانحراف أو الأفول، فتعمل أمة الإسلام على الاستنارة بأسباب التمكين، وتلافي الأخطاء والانحرافات.

٢. عِلمُ الله السابق بأنَّ الصراع الذي ستخوضه أمة الإسلام مع أمتي اليهود والنصارى سيكون هو الأصعب والأعقد والأكثر بأسًا، فيكون ما في القرآن من قصص وعبر مفاتيح لفهم طبائعهم وكيفية التعامل معهم.

تفرُّد قصة موسى عليه السلام:

ومن بين قصص بني إسرائيل نجد قصة موسى عليه السلام أكثر القصص تفصيلاً وحضورًا وسردًا، فمن ظروف ولادته ونجاته، وتنشئته في البيت الفرعوني، وعودته لأمِّه، ثم بلوغِه أشدَّه وقتله للقبطي وهروبِه من مصر، ثم زواجِه في مدين، وتلقِّيه للوحي في طريق عودته، ثم حواراتِه مع فرعون وملئه وسحرته، وظهورِ المعجزات على يديه، وتتابع العقوبات على فرعون وقومه،

(١) ينظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب (٦٦/١).

ويلي ذلك الخروجُ من مصر، ثم انشقاقُ البحر وعبورُه، وقصةُ تلقِّي الوحي، وتيهُ بني إسرائيل بما فيه من أحداثٍ ووقائع، عدا عن بعض القصص التي بدت مستقلَّةً عن السرد التاريخي المتتابع، مثل قصة موسى مع الخضر ومع قارون وغيرهما.

وفي تلمُّس الحكمة من كثرة ذكر موسى عليه السلام في سور القرآن، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «وثنّى قصة موسى عليه السلام مع فرعون لأنهما في طرفي نقيض في الحق والباطل، فإن فرعون في غاية الكفر والباطل حيث كفر بالربوبية وبالرسالة، وموسى عليه السلام في غاية الحق والإيمان من جهة أنَّ الله كلَّمه تكليمًا لم يجعل الله بينه وبينه واسطةً من خلقه، فهو مثبت لكمال الرسالة وكمال التكلم، ومثبت لرب العالمين بما استحقه من النعوت»[1].

سورة البقرة فيها الكثير من القصص والقضايا والأحكام والأحداث، فلماذا اختيرت البقرة من بين غيرها من موضوعات سورة البقرة لتسمّى بها؟ وحتى أحداثُ بني إسرائيل في السورة متعدِّدة، وهذا مما يدعونا إلى تأمُّل سبب اختيار هذا الاسم (البقرة) من بين عشرات الموضوعات في السورة

وعندما أوذي النبي ﷺ في قسمة غنائم حنين قال: (يرحم الله موسى، لقد أوذي بأكثرَ من هذا فصبر)[2]، فكانت قصته عليه السلام نبراسًا يستضيء به نبينا ﷺ في طريق دعوته، وبلسمًا يخفِّف عنه آلام الطريق.

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٩/١٢).
(٢) أخرجه البخاري (٣١٥٠) ومسلم (١٠٦٢).

قصة البقرة:

من الفصولِ الملفِتة في قصةِ موسى عليه السلام مع بني إسرائيل: قصةُ البقرة، وملخَّصُها كما جاء في التفاسير: أنَّ رجلاً غنيًا من بني إسرائيل لم يكن له وارث، فطمع ابن أخيه في ماله، وقتله في سبطٍ من أسباط بني إسرائيل ليلاً حتى لا يُعرف[1]، ولما وجدوا القتيل في ذلك السِّبط جعل ابنُ أخيه يطالبهم بدمه وديته، محاولاً إلصاق التهمة بهم كذبًا وافتراءً، فاختلفوا فيما بينهم اختلافًا عظيمًا، حتى لجؤوا إلى نبيِّ الله موسى عليه السلام، فأخبرهم أن الله يأمرهم أن يذبحوا بقرةً، ومن سوء تعاملهم مع نبي الله عليه السلام لم يمتثلوا لأمره، بل اعترضوا ونسبوه إلى الهُزو واللهو، ثم أخذوا في الجدال والتردُّد في تنفيذ الأمر فسألوا عن عُمْر البقرة ولونها وصفتها، والله يشدِّد عليهم ويزيدهم في الشروط حتى إنَّهم لم يجدوا ما تتحقَّق فيه الشروط إلا بقرةً عند عجوز قيِّمةٍ على يتامى، فلمَّا علمت أنه لا يصلُحُ لهم غيرُ هذ البقرة ضاعَفَت الثمن، حتى قيل إنَّها طلبت وزنها ذهبًا، فذبحوها وأمرهم موسى عليه السلام أن يضربوا الميت ببعض أجزاء هذه البقرة، فأعاده الله للحياة فسألوه عمَّن قتله فأشار إلى ابن أخيه.

لماذا سُميت السورة بالبقرة؟[2]

إذا جئنا إلى سورة البقرة فسنجد أنها ليست كغيرها، فهي أطول سُوَر القرآن الكريم، وفضائلُها كثيرةٌ وعظيمة؛ فسورة البقرة مع آل عمران (تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان

---

(١) السبط في بني إسرائيل يقابل القبيلة عند العرب.

(٢) تسميات سور القرآن الكريم مما يدعو للتدبُّر والبحث عن الحكمة والمغزى، ولا شكَّ أن لها حِكَمًا عميقة قد يُدركها الباحث وقد لا يصل إلى إدراكها، خصوصًا عندما نعلم أنها تسمياتٌ توقيفية عن النبي صلى الله عليه وسلم، على أظهر الأقوال، ينظر: جامع البيان، لابن جرير الطبري (١/١٠٠)، والبرهان في علوم القرآن، للزركشي (١/٢٧٠)، والإتقان في علوم القرآن، للسيوطي (١/١٤٨)، وإلى ذلك ذهب كثير من المعاصرين، مثل سليمان البجيرمي والطاهر بن عاشور وغيرهما.

أو غيايتان أو كأنهما فرقان من طيرٍ صوافَّ تُحاجَّان عن أصحابهما)، وسورة البقرة: (أخذُها بركة، وتركُها حسرة، ولا تستطيعُها البَطَلَة)[١]، (وسنام القرآن سورة البقرة، من قرأها في بيته ليلاً لم يدخل الشيطان بيته ثلاث ليالٍ)[٢]، وفيها آية الكرسي أعظم آية في القرآن الكريم، عن أبيٍّ بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: (يا أبا المنذر أتدري أيُّ آيةٍ من كتاب الله أعظم؟) قال: قلت: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾، قال: فضرب في صدري، وقال: (والله ليهنِك العلم أبا المنذر)[٣].

والسورة فيها الكثير من القصص والقضايا والأحكام والأنبياء والأحداث، فلماذا اختيرت البقرة من بين غيرها من موضوعات سورة البقرة؟ وحتى أحداث بني إسرائيل في السورة متعدِّدة، وهذا مما يدعونا إلى تأمُّل سبب اختيار هذا الاسم (البقرة) من بين عشرات الموضوعات في السورة.

يقول الشيخ عبد الخالق الشريف: «سورة البقرة من العجيب أنَّ بها أفضل آية في القرآن على الإطلاق وهي آية الكرسي، وبها آيتان أُنزلتا من كنز من تحت عرش الرحمن، وهما أواخر سورة البقرة، وبها أطولُ آية في القرآن وهي آية الدَّين، وبها حديثٌ طويلٌ عن الحج والربا والبيوع والرهن والطلاق.. ومع ذلك فلم تسمّ السورة بشيء من هذا كله، وسُمِّيت بسورة البقرة».

ثم حاول الإجابة عن ذلك فقال: «وكأني أشعر أنَّ هذه السورة الكريمة سميت بهذا الاسم تحذيرًا لنا من منهج اليهود في المجادلة، وتنبيهًا لنا على خطأ أسلوبهم الذي استخدموه مع الله ومع أنبياء الله؛ أليسوا هم الذين قالوا: ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾؛ ولذلك كان في ختام هذه السورة أن الله علمنا أن نقول: ﴿سَمِعْنَا

(١) حديث واحد، أخرجه مسلم (٨٠٤)، والبطلة: السَّحَرة.
(٢) أخرجه ابن حبان (٤١٩).
(٣) أخرجه مسلم (٨١٠).

وَأَطَعْنَا﴾»[1]، وهو بهذا أجاب عن الهدف من إيراد قصة البقرة، ومكانة ذلك في السورة، وانعكاس القصة على اسم السورة، لكن يبقى هنا سؤالٌ آخر لا يقل أهميةً وهو: لماذا اختار الله البقرة بالذَّات لبني إسرائيل ليذبحوها في هذه القصة، ثم صارت البقرة اسمًا لسورةٍ بهذه المكانة؟

حُقَّ لنا أن نتعجَّب كيف لقومٍ أنقذهم الله من الذلِّ والهوان على يد نبيٍّ مؤيَّدٍ بالوحي والمعجزات التي آخرها انفلاق البحر أن يظنُّوا أنَّ ربَّهم عجلٌ صُنع أمامهم؟!

بنو إسرائيل والبقر .. قصة لا تنتهي:

قصة ذبح البقرة ليست أول شأن بني إسرائيل مع البقر، فقد سبق ذلك فعلٌ شنيعٌ منهم، وذلك أنَّ موسى عليه السلام ذهب لميعاد ربِّه لتلقِّي التوراة، فجمع بنو إسرائيل الذهب والحُليَّ الذي كانوا أخذوه من قوم فرعون، وكان بينهم رجلٌ يقال له: السامري، فصاغ من هذا الذهب والحُلي عِجلاً، وألقى عليه قبضة أخذها من أثر فرس جبريل عليه السلام وقت عبور البحر، فصار عجلاً له خوار، فعظَّموه ورقصوا حوله فرحين، وقالوا: ﴿هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ﴾ أي: فنسي موسى ربَّه عندنا، وذهب يتطلَّبه، وهو هاهنا. تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا.

فرجع موسى إليهم غضبان مما فعلوا، أسِفًا على الحال الذي صاروا إليه، ومع أنَّه عَلِم بما وقع منهم قبل أن يصل إليهم، إلا أنَّه لما رآهم هالَهُ ذلك، ولم يملك نفسه من الغضب فألقى الألواح المتضمِّنة للتوراة، ثم أقبل عليهم فعنَّفهم ووبَّخهم، فاعتذروا إليه بأعذارٍ واهية، ولما سقط في أيديهم ندموا على ما صنعوا،

(١) مقالة: هل أسماء سور القرآن توقيفية؟ موقع إسلام أونلاين.

وقالوا: ﴿لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾، فأمر موسى عليه السلام بحرق تمثال العجل ونسفه في اليم، وبقية القصة في الحوار بين موسى وهارون والسامري، وكيفية توبة من عبدوا العجل معروفة مسرودةٌ في كتب التفسير.

المهم من القصة هو أنهم عبدوا العجل معتقدين أنَّه الله، تعالى الله وتقدَّس عن ذلك، وأُغلقت عقولهم عن إدراك بطلان ذلك، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ [طه: ٨٩]، مع أنَّ نبي الله هارون عليه السلام كان بينهم، وقال لهم: ﴿يَاقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾ [طه: ٩٠]، فقالوا له: ﴿لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى﴾ [طه: ٩١].

وحُقَّ لنا أن نتعجَّب كيف لقومٍ أنقذهم الله من الذلِّ والهوان على يد نبيٍّ مؤيَّدٍ بالوحي والمعجزات التي آخرها انفلاق البحر أن يظنوا أنَّ ربَّهم عجلٌ صُنع أمامهم؟! لا شكَّ أنَّ الهوى أعمى بصائرهم! ولا يُستبعد أن يكون لهذا جذورٌ في نفوسهم، فقد قال تعالى على لسان قوم فرعون وهم يحرضونه على موسى عليه السلام: ﴿أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ﴾ [الأعراف: ١٢٧]، قال الطبري في تفسير قوله ﴿وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ﴾: «وقد ترك موسى عبادتك وعبادة آلهتك التي تعبُدُها. وقد ذُكر عن ابن عباس أنَّه قال: كان له بقرةٌ يعبُدُها»[١]، وجاء عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله ﴿وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ﴾: «كانت البقر، كانوا إذا رأوا بقرةً حسناء أمرهم فرعون أن يعبدوها، فلذلك أخرج لهم عجلاً جسدًا»[٢]. وهذا إن صحَّ فهو يُبطل العَجَب في عبادتهم

(١) تفسير الطبري (٣٨/١٣).
(٢) تفسير ابن كثير (٤٦٠/٣).

للعجل؛ لأنهم اعتادوا رؤيته يُعبَد، وقد يكون بعضهم أطاع فرعون في عبادته[1].

رمزية ذبح البقرة:

مما يلفت النظر أنَّ الله تعالى بعد أن قصَّ قصة قتيل بنى إسرائيل وذكر ما كان من جدالهم لموسى عليه السلام أنهى القصة بقوله: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِ اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٧٣]، ثم بعد عشرين آية، في سياق عتابه لهم على عصيانهم وتمرُّدهم، واتخاذهم العجل بعد رؤيتهم للآيات البينات، وأخذ الميثاق عليهم، ورفع الطور فوقهم، وقولهم: سمعنا وعصينا، قال تعالى: ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ [البقرة: ٩٣].

قال الطبري في تفسيره: «وأولى التأويلين اللذين ذكرت بقول الله جل ثناؤه: ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾ تأويلُ من قال: وأُشرِبوا في قلوبهم حُبَّ العجل... ولكنه ترك ذكر «الحُب» اكتفاءً بفَهم السامع لمعنى الكلام. إذ كان معلومًا أنَّ العجل لا يُشرَب القلب، وأن الذي يشرب القلب منه حبه»[2]. فالعجل لم يكن حدثًا عابرًا صنعه لهم السامري، بل كان له جذورٌ في نفوسهم، وحبٌّ في قلوبهم حتى تشرَّبته.

---

(١) كان للمصريين القدماء إله على هيئة ثور يسمى (آبيس)، وكان أي ثور يحمل صفات معينة يعتبر تشخيصًا لأبيس. وعندما حكم اليونانيون البطالمة مصرَ نقلوا تقديسه إلى اليونان، ومنهم أخذه الرومان، كما كان عند قدماء المصريين الإلهة «حتحور» التي كان يرمز لها بالبقرة. ونظرة على العقائد والأديان الوثنية القديمة تكشف لنا أن الثور أو العجل كان معبودًا ومقدسًا لدى الكثير من الديانات، مثل ديانات السومريين والآشوريين والأكديين والكنعانيين والحثيين وغيرهم في بلاد الرافدين والشام والأناضول. ينظر: تقديس الحيوان وعبادته عند العرب قبْل الإسلام، أ.د.سعد عبود سمار، مجلة كلية التربية - جامعة واسط، العدد السادس والثلاثون، الجزء الأول، آب ٢٠١٩م. ومن أشهر الديانات التي تقدس البقر: الهندوسية، ويقال إنهم يقدِّسونه لأنه يرمز إلى النفع، وقيل إنَّ تقديسه انتقل إليهم من عقائد الفراعنة التي أخذها عنهم اليهود، ثم انتقلت من اليهود إلى العراق وفارس عندما أسرهم بختنصر، فمر بهم الآريون في هجرتهم، فأخذوا منهم هذه العقيدة وذهبوا بها إلى الهند. والله أعلم.

(٢) تفسير الطبري (١٥٩/٢).

ولعلَّ اختيار الله للبقرة لذبحها في سياق إحياء الميت، كان لغرضِ قطع جذور حُب العجل الذي تشرَّبته قلوبهم حتى عبدوه، ولكي يروا أنَّه مخلوقٌ لا حول له ولا قوة، يُذبحُ بأمر الله ويبقى الله الحي الذي لا يموت، وجعل إحياء الميت بضربِهِ ببعض البقرة المذبوحة حتى لا يبقى لتعظيم العجل بقية في قلوبهم.

ولعلَّ شيئًا من تردُّدهم في ذبح البقرة كان لمكانها في قلوبهم، حتى إنَّهم أساؤوا الأدب مع نبيِّهم، فشدَّدوا في السؤال فيها تملُّصًا من ذبحها، فشدَّد الله عليهم، فصعُب عليهم ذبحها؛ حيث اضطروا لدفع الأثمان الباهظة لشرائها من أصحابها، قال تعالى: ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ [البقرة: ٧١].

لعلَّ اختيار الله للبقرة لذبحها في سياق إحياء الميت، كان لغرضِ قطع جذور حُب العجل الذي تشرَّبته قلوبهم حتى عبدوه، ولكي يروا أنَّه مخلوقٌ لا حول له ولا قوة، وجعل إحياء الميت بضربِهِ ببعض البقرة المذبوحة حتى لا يبقى لتعظيم العجل بقيةٌ في قلوبهم

العبرة والدرس المستفاد:

كان موسى عليه السلام قد عبر ببني إسرائيل البحر، وعمل على تهيئتهم لدخول الأرض المقدسة (فلسطين) وتمكينهم فيها، وبَذَلَ في ذلك جهدًا، وأخذ عليهم الميثاق، فلما اقتربوا من الأرض المقدَّسة وأمرهم بدخولها، أبَوا واعتذروا بوجود الجبَّارين فيها، ولم يزدهم حثُّ نبيِّ الله لهم وتأكيده أنَّ النصرَ سيكون حليفهم إذا دخلوا الأرض المقدسة إلا نكوصًا وجُبنًا، حتى قالوا مقالةً سيئة: ﴿قَالُوا يَامُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا

مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤]، فأيِس منهم موسى عليه السلام، ودعا اللهَ بأن يَفرُق بينه وبين القوم الفاسقين، فجاء الجواب الإلهي: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢٦].

قال صاحب الظلال: «وهكذا أسلمهم الله -وهم على أبواب الأرض المقدسة- للتيه؛ وحرَّم عليهم الأرض التي كتبها لهم.. والأرجح أنه حرَّمها على هذا الجيل منهم حتى تنبت نابتة جديدة؛ وحتى ينشأ جيلٌ غير هذا الجيل، جيلٌ يعتبر بالدرس، وينشأ في خشونة الصحراء وحرِّيَّتها صلب العود.. جيلٌ غير هذا الجيل الذي أفسده الذلُّ والاستعباد والطغيان في مصر، فلم يعُد يصلُح لهذا الأمر الجليل! والذلُّ والاستعباد والطغيان يُفسد فطرة الأفراد كما يفسد فطرة الشعوب»[1].

وجاءت حادثة ذبح البقرة لتقضي على ما بقي من تقديسٍ للعجل في نفوسهم، تحت عنوان: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾، واستحقَّ هذا الأمر العظيم أن تسمَّى أطولُ سورِ القرآنِ وسنامُهُ بسورة البقرة، بما تحمله من آيات عظيمة، وفضائل سابقة.

هل انتهى تقديس اليهود للبقر:

عند دراسة تاريخ بني إسرائيل نكتشف أن تقديس البقر لم يختفِ تمامًا من حياتهم، بل بقيت له ذيول وامتدادات، فحسب الرواية التوراتية[2]: انقسمت دولتهم بعد وفاة نبي الله سليمان عليه السلام إلى مملكة شمالية اسمها «إسرائيل» وعاصمتها نابلس (شكيم)، وأخرى جنوبية اسمها «يهوذا» وعاصمتها القدس (أورشليم)، والدولة الشمالية قامت على ١٠ أسباط من بني إسرائيل، بينما اقتصرت الجنوبية على سبطين فقط.

(١) في ظلال القرآن (٨٧١/٢).
(٢) سفر الملوك الأول، الإصحاح (١٢)، وسفر أخبار الأيام الثاني، الإصحاح (١٠).

وحتى لا يذهب اليهود من رعايا الدولة الشمالية إلى القدس (عاصمة الدولة الأخرى) في الأعياد والمناسبات الدينية، نصب لهم الملك «يَرُبعام» عجلين من ذهب في أطراف مملكته ونادى بوجوب عبادتهما، وبقوا على ذلك حتى دمِّرت هذه الدولة تمامًا، فوا عجبًا!! ولا زالت توجد طوائف من اليهود يعلِّق أتباعها قلائد للعجل على صدورهم حتى اليوم.

من العقائد التي يؤمن بها اليهود اليوم: إعادة بناء الهيكل المزعوم، والذي يتوقّف عليه القيام بالكثير من شرائعهم وإعادة مَلِكهم المنتظر، ومما يتعلق بتفاصيل هذه النبوءات ولادة بقرة حمراء خالية من العيوب، وكونها دلالة على بداية تحقق نبوآتهم وقيام هيكلهم ودولتهم

بقرة المملكة والهيكل المزعوم!

من العقائد التي يؤمن بها اليهود اليوم إعادة بناء الهيكل المزعوم، والذي يتوقف عليه القيام بالكثير من شرائعهم وإعادة مَلِكهم المنتظر، ومما يتعلق بتفاصيل هذه النبوءات ولادة بقرة حمراء خالية من العيوب، وكونها دلالة على بداية تحقق نبوآتهم وقيام هيكلهم ودولتهم.

وتقوم هذه العقيدة على حرق البقرة الحمراء بعد بلوغها ٣ أعوام، وتطهير اليهود بها عبر طقوس معينة حتى يستطيعوا دخول «الهيكل»، وإلى ذلك الحين فإنه لا يجوز لهم دخول الهيكل لنجاستهم![1].

(١) سفر العدد، الإصحاح (١٩).

وتشير هذه النبوءات إلى أنه منذ أكثر من ألفي سنة لم تولد بقرة حمراء بهذه المواصفات مطلقًا، وعلى الرغم من الإعلان عن ظهور البقرة عدة مرات خلال العقود السابقة إلا أن الحاخامات رفضوها لوجود بضعة شعرات سود فيها مما يجعلها غير صالحة، ومازالوا في انتظار البقرة الحمراء الخالصة، ﴿لَا شِيَةَ فِيهَا﴾!

لكلٍّ بقرته:

مِن المعلوم أنَّ قصص القرآن لم تُسَق للتسلية، وهي دروسٌ وعِبَرٌ لأمة محمد ﷺ، وعلى رأسها قصص بني إسرائيل وقصة موسى خصوصًا، بما تتضمَّنه من إشاراتٍ وإضاءاتٍ على طريق تمكين أمتنا ونهضتها.

وكما كان على بني إسرائيل أن يذبحوا بقرتهم ليَخرُجَ تقديسُها من قلوبهم، فكذلك لكلِّ مجتمعٍ بقرَتُهُ التي تُفسِد أهليَّتَه عن النهوض والتمكين، فقد تكون هذه البقرة تقديسًا لحاكم وطاغية، وقد تكون جُبنًا وخوفًا من مخاطر المواجهة، وقد تكون أنانيةً وفُرقةً وشقاقًا، وقد تكون غير ذلك من الأدواء والأمراض المجتمعية، وعلى رأس ذلك حب الدنيا وتقديمه على ما أُعِدَّ من الجزاء في الآخرة.

وهذا من مراعاة السنن الإلهية في حياة البشر وفي أمة الإسلام خاصة، فعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكَلة إلى قصعتها)، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: (بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غُثاء كغثاء السيل، وليَنزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليَقذفن الله في قلوبكم الوَهْن)، فقال قائل: يا رسول الله، وما الوهن؟ قال: (حب الدنيا وكراهية الموت)[1]، قال الشيخ عبد المحسن العباد: «وهذا الحديث منطبق تمامًا على هذا

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٩٧).

الصفحة السابقة | الفهرس | الصفحة التالية

الزمان، والمسلمون اليوم عددهم كثير جدًا، ولكنهم مشتغلون بالدنيا، وحريصون على الدنيا، وخائفون من الموت، فصاروا يخافون من أعدائهم، وأعداؤهم لا يخافون منهم»[١].

فليبحث كل مجتمع عن بقرته ويتخلَّص منها، وبدون ذلك لا نهضةَ لنا ولا نَصرَ ولا تمكين، قال رسول الله ﷺ: (إذا تبايعتم بالعِينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذُلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم)[٢].

كما كان على بني إسرائيل أن يذبحوا بقرتهم ليَخرُجَ تقديسُها من قلوبهم، فكذلك لكلِّ مجتمعٍ بقرَتُهُ التي تُفسِد أهليَّتَه عن النهوض والتمكين، وعلى رأس ذلك حبُّ الدنيا وتقديمه على ما أُعدَّ من الجزاء في الآخرة، فليبحث كل مجتمعٍ عن بقرته ويتخلَّص منها، وبدون ذلك لا نهضةَ لنا ولا نصرَ ولا تمكين

(١) شرح سنن أبي داود ـ شريط ٣٠٤.

(٢) أخرجه أبو داود (٣٤٦٢). ومعنى (وأخَذتم أذنابَ البَقَرِ) أي: للحرث عليها، لأن من يحرث الأرض يكون خلف البقرة ليسوقها، وقوله: (ورَضِيتُم بالزرع) ليس المراد بهذه الجملة والتي قبلها ذم من اشتغل بالحرث واهتم بالزرع، وإنما المَراد ذم من اشتغل بالحرث ورضي بالزرع حتى صار ذلك أكبر همه، وقدم هذا الانشغال بالدنيا على الآخرة، وعلى مرضاة الله تعالى، لا سيما الجهاد في سبيل الله.

دعوة

إذا كان الدين يُسرًا، فلماذا نشعر بالمشقة في الالتزام به؟

د. معن عبد القادر

أكاديمي وكاتب في قضايا التربية والحوار والفكر

الفهرس

مِن علامات هذا الدين: اليُسر، ووصف اللهُ تعالى دينَه باليُسرى، وما خُيِّر رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما، كما رفع الله عن هذه الأمة الإصر والأغلال التي كانت على مَن قبلها مِن الأمم، ومع ذلك فإنَّنا نشعر بمشقَّة القيام بالتكاليف الشرعية، فكيف نجمع بين الأمرين؟ في هذه المقالة إجابة عن هذا السؤال

مدخل:

أظهر أوصاف هذا الدين: اليُسر، إذ تضافرت على ذلك آيات الكتاب الحكيم: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨]، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾ [الطلاق: ٧]، ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]، ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾ [المائدة: ٦].

وقد أرسل الله بهذا الدين رسولاً ميسِّرًا، أثنى عليه بقوله: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ [التوبة: ١٢٨]، أي لا يُحب هذا النبي الكريم ﷺ لكم العنتَ والمشقةَ، بل يشق عليه الأمر الذي يشق عليكم ويعنتكم.

ووصف اللهُ تعالى دينَه الذي أرسل به رسوله باليُسرى، فقال لنبيه: ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى﴾ [الأعلى: ٨]، فشريعته ﷺ أكمل الشرائع وأسهلها وأيسرها، وهو القائل ﷺ: (إني أُرسلت بحنيفية سمحة)[(١)]، حتى وصفته عائشة رضي الله عنها بقولها: «ما خُير رسول الله ﷺ بين أمرين أحدهما أيسرُ من الآخر إلا اختار أيسرهما، ما لم يكن إثمًا»[(٢)].

(١) أخرجه أحمد (٢٤٨٥٥).
(٢) أخرجه البخاري (٦٧٨٦) ومسلم (٢٣٢٧) واللفظ له.

وكان ﷺ يقول: (إنَّ الدين يسر)[١]. ويقول: (إنَّ الله عزَّ وجلَّ رضي لهذه الأمة اليُسر وكَره لها العُسر)[٢]، ويقول: (إنكم أمة أُريدَ بكم اليسرُ)[٣].

وكان إذا أرسل دعاته ورسله إلى البلدان أوصاهم بقوله كما فعل مع معاذ وأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما عندما أرسلهما إلى اليمن: (يَسِّرا ولا تُعَسِّرا، وبَشِّرا ولا تُنَفِّرا)[٤].

أظهر أوصاف هذا الدين: اليُسر، ووصفه تعالى باليُسرى، وأرسل الله بهذا الدين رسولاً ميسِّرًا، ثم كانت شريعته ﷺ أكمل الشرائع وأسهلها وأيسرها؛ ورفع الله عن الأمة المحمدية الإصر والأغلال التي كانت على مَن قبلها مِن الأمم

ولقد رفع الله عن الأمة المحمدية الإصر والأغلال التي كانت على مَن قبلها مِن الأمم، قال القاضي أبو بكر بن العربي: «كان مَن قبلنا مِن الأمم صومهم الإمساك عن الكلام مع الطعام والشراب، فكانوا في حرج، فأرخص الله لهذه الأمة بحذف نصف زمانها وهو الليل، وحذف نصف صومها عن الفم، وهو الإمساك عن الكلام ورخص لها فيه»[٥].

(١) أخرجه البخاري (٣٩).
(٢) أخرجه الحارث في مسنده (٢٣٧).
(٣) أخرجه أحمد (٢٠٣٤٧).
(٤) أخرجه البخاري (٣٠٣٨) ومسلم (١٧٣٣).
(٥) عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي (١٨٣/٣).

و(كان بنو إسرائيل إذا أصاب ثوبَ أحدهم البول، قرضه بالمقراض)[١]، بينما يكفي في شريعتنا أن نغسله بالماء حتى يزول أثره، و(اليهود كانوا إذا حاضتِ المرأةُ فيهم لم يؤاكلوها ولم يُجامِعوهُنَّ في البيوت)[٢]، بينما الأمر في شريعتنا: (اصنعوا كل شيءٍ إلا النِّكاحَ)[٣]، وكان في شريعة من قبلنا القصاص لا غير في القتل، أما في ديننا فقد شرعت الدِّية.

وكان من قبلنا إذا أذنب ذنبًا يُكتَب ذنبه على باب داره، وتكتب معه كفارته[٤]، أما نحنُ الأمةَ المحمدية فقد جعل الله كفارة ذنوبنا قولاً نقوله بألسنتنا.

وهذا الاختصاص لهذه الأمة ظاهر في كثير من الأحاديث، كقوله ﷺ: (وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا،... وأحلت لي الغنائم)[٥]، وقوله: (إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفُسَها ما لم يتكلموا أو يعملوا به)[٦]، وقوله: (إن الله وَضَعَ عن أُمَّتِي الخطأ والنسيان وما استُكرِهوا عليه)[٧].

ولقد علّم الله هذه الأمة أن تقول: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، فقال رب العزَّة: (نعم) وفي رواية: (قد فعلتُ)[٨].

(١) ينظر: مسند أحمد (١٧٧٦٠) وأبو داود (٢٢) والنسائي (٣٣) وابن ماجه (٣٤٦).
(٢) أخرجه مسلم (٣٠٢)، (ولم يجامعوهن في البيوت): أي لم يخالطوهن ولم يساكنوهن في بيت واحد.
(٣) أخرجه مسلم (٣٠٢).
(٤) أخرجه ابن المنذر عن ابن مسعود رضي الله عنه موقوفًا (٩٣٤).
(٥) أخرجه البخاري (٤٣٨)، ومسلم (٥٢١).
(٦) أخرجه البخاري (٦٦٦٤)، ومسلم (١٢٧).
(٧) أخرجه ابن ماجه (٢٠٤٥) وابن حبان (٧٢١٩).
(٨) أخرجه مسلم (١٢٥) و (١٢٦).

ولو أردنا أن نستطرد في أمثلة التيسير في القرآن والسنة لطال بنا المقام، فالأمر أظهر من أن تحشد له الأدلة والشواهد.

وليس يصح في الأذهان شيء
إذا احــتاج النــهار إلى دليل

لكن نضرب مثلاً مِن يُسرِ الإسلام في شأن واحد هو الصلاة، الركن الذي يلي الشهادتين، عمود الدين، والصلة بين العبد وربه، العهد الذي بين المسلم والكافر، هذه الصلاة -بهذه المكانة العظيمة- كم فيها من التيسير! كانت مفروضة خمسين صلاة فخففها الله إلى خمسٍ بأجر خمسين، وإذا كان المسلم في سفر شرع له قصرها، وإذا كان في حاجة شرع له جمع بعضها إلى بعض، وإذا فقد الماء أو شق عليه استخدامه شرع له التيمم، وإذا لم يستطع الصلاة قائمًا جاز له أن يصلي جالسًا، أو يصلي على جنبه بحسب حاله التي يستطيع، هذا في الصلاة التي هي ركن الإسلام، فكيف بما دونها؟ وهكذا تجد اليسر في كل أحكام الشريعة.

> **شرائع الإسلام فيها التيسير والتخفيف على المكلفين، ورفعُ الحرج عنهم في خطرات نفوسهم ما لم تخرج إلى الكلام أو العمل، ومن ذلك العفو في حال الخطأ والنسيان والاستكراه**

لماذا يجد البعض العبادات ثقيلة على نفسه؟

فإن قيل: هذا كله حق، لكن الواقع يشهد أن كثيرًا من المسلمين يتثاقلون من الالتزام بأحكام الدين، فيفرطون في التمسك به، ومن يتمسك به يجد مشقة وصعوبة بالغتين، فالجواب: هذا حق أيضًا، فلنبحث من أين يأتي الشعور بالصعوبة والمشقة، وكيف

نوفق بين هذا الشعور الصادق وبين النصوص المتضافرة في أن الدين يسر؟

يمكن الجواب على هذا من ثلاثة أوجه:

- **الوجه الأول:** أن اليسر صفة لموصوف هو الدين، فالحديث عن دين صفته اليسر، لكن البعض يريد يسرًا بلا دين! فالدين من معانيه التكليف، وهو إلزام ما فيه كلفة، والله خلقنا لعبادته، وجعل الدنيا دار اختبار ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]، فلا بد من التكليف، إلا أن هذا التكليف الذي كلف الله به عباده تكليف ميسر، هو في قدرتهم: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

فالذين لا يستحضرون الغاية من الخلق، ولا يَعُونَ معنى التكليف في الدين، يرون في كل أمر من أوامر الإسلام عنتًا.

ولنمثل لذلك بالمثال التالي، حين نقول: الأستاذ أحمد امتحاناته سهلة ميسرة، فماذا يعني هذا؟ يعني أنها واضحة في صياغتها، وأنها متصلة بموضوع المادة، وأن الوقت المتاح للجواب عنها كاف، وأنه ربما يعطي الطلاب الاختيار بين عدة أسئلة ليختار منها ما يجيب عليه. هذا في مقابل أسئلة الأستاذ كمال الذي يُلغِز في الأسئلة، أو يأتي بأسئلة لم ترد في المنهاج، أو لا يعطى الطلاب الوقت الكافي للجواب عليها، فامتحاناته معقدة بعيدة عن التيسير. أما من يرى في مبدأ السؤال لتمييز الطالب الجاد المعد للامتحان من غيره مشقة وعنتًا، فهو لم يفقه معنى الامتحان أصلاً!

فالإسلام دين فيه تكليفات، لكنها تكليفات ميسرة، وقد رأينا شأن التيسير في الصلاة، وقل مثل ذلك في الزكاة، فإنما أوجب ربع العشر فقط، وفي المال المعد للنماء دون غيره، وبعد ملك النصاب، وبعد أن يحول عليه الحول، أي أن المزكي ادخر مالاً عامًا كاملاً لم يحتج إليه، فهو زائد عن نفقاته ومعاشه،

فيخرج منه ربع العشر لإعانة إخوانه الفقراء والمساكين، أليس هذا يسرًا؟

والحج، لما كانت فيه مشقة كبيرة جعله الله مرة في العمر لمن استطاع إليه سبيلاً، لا يلزمه أن يستدين لأجله، وكان النبي ﷺ لا يُسأل عن شيء في الحج قُدِّمَ ولا أُخِّرَ إلا قال: (افعل ولا حرج)[1]، فهو دين فيه تكاليف، ولكنها تكاليف ميسرة.

ولا تحسب أن أولئك الذين تحللوا من التكاليف أنهم في هناءة، لا والله، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه: ١٢٤]، فهو في ضيق وضنك.

الإسلام دين فيه تكليفات، لكنها تكليفات ميسرة، والذين لا يستحضرون الغاية من الخلق، ولا يَعُونَ معنى التكليف في الدين، يرون في كلِّ أمرٍ من أوامر الإسلام عنتًا ومشقة

❋ **الوجه الثاني:** يعود إلى الطريقة التي نتعلم بها الإسلام ونتلقى بها أحكامه، فالإسلام ما نزلت أحكامه أوامر ونواهي جافة مجردة (افعل) و(لا تفعل)، وما نزل على صورة «قائمة» بالمأمورات (صلِّ، صم، زكِّ، حج..) ولا قائمة بالمنهيات (لا تسرق، لا تزن، لا تقتل)، بل جاءت الأوامر والنواهي في سياق يخاطب الإنسان كل الإنسان عقله وروحه وقلبه، نصحًا ووعظًا، فتبيِّن محاسن الأمر الذي يأمر به وثمرته وثوابه، وقبائح الأمر الذي ينهى عنه وعاقبته ووعيده، والحكمة في هذا وذاك.

(١) أخرجه البخاري (٨٣) ومسلم (١٣٠٦).

لماذا يجد البعض العبادات ثقيلةً على نفسه؟

١

عدم استحضار الغاية من الخلق، وقلة وعي معنى التكليف في الدين يجعل الإنسان يرى في كل أمر عنتا ومشقة، ويريد يسرًا بلا تكاليف!

٢

الخلل في طريقة تلقي أحكام الإسلام،
بعيدًا عن فهم الحكمة في كل منها، والأجور المترتبة عليها

٣

كثير من المشقة التي نشعر بها ليست من ذات التكليف،
لكنها بسبب بُعد مجتمعاتنا عن التدين، بل ومحاربتها له أحيانًا

تأمل كم جاء في القرآن من الثناء على الذين يقيمون الصلاة، واستحضر كم جاء من الأجر عليها في حديث رسول الله، مثل قوله: (صلاة الرجل في جماعة تزيد على صلاته في بيته وصلاته في سوقه بضعًا وعشرين درجة؛ وذلك أن أحدهم إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم أتى المسجد لا ينهزه إلا الصلاة، لا يريد إلا الصلاة، فلم يخط خطوة إلا رفع له بها درجة، وحط عنه بها خطيئة، حتى يدخل المسجد، فإذا دخل المسجد كان في الصلاة ما كانت الصلاة هي تحبسه، والملائكة يصلون على أحدكم ما دام في مجلسه الذي صلى فيه، يقولون: اللهم ارحمه، اللهم اغفر له، اللهم تب عليه، ما لم يؤذ فيه، ما لم يحدث فيه)[1].

وتدبر وصفه لآثارها بقوله: (أرأيتم لو أن نهرًا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء؟)

(١) أخرجه البخاري (٤٧٧) ومسلم (٦٤٩) واللفظ له.

قالوا: لا يبقى من درنه شيء. قال: (فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا)[١]، وقل مثل ذلك في الزكاة والصدقة، سماها الله قرضًا له سبحانه: ﴿مَنْ ذَا الَّذِى يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُۥ﴾ [البقرة: ٢٤٥]، وبيّن آثارها على معطيها: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]، وعلى ماله: (ما نقصت صدقة من مال)[٢]، ونتيجة لذلك كان الصحابة رضوان الله عليهم يسارعون في الإنفاق في سبيل الله، فعندما أراد النبي ﷺ تجهيز جيش العسرة: تصدّق أبو بكر رضي الله عنه بماله كلّه، وتصدّق عمر بن الخطاب رضي الله عنه بنصف ماله، وتصدق عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه بألفي درهم، وجاء عثمان رضي الله عنه إلى النبي ﷺ بألف دينار حين جهز جيش العسرة، فنثرها في حجره، قال عبدالرحمن بن سمرة: فرأيت النبي ﷺ يقلبها في حجره ويقول: (ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم) مرتين[٣].

وفي الصوم قال الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ﴾ [البقرة: ١٨٣-١٨٤]، وقال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل: (كل عمل ابن آدم له إلا الصوم، فإنه لي وأنا أجزي به)[٤].

حتى الجهاد الذي هو أشق أحكام الشريعة لما فيه من إزهاق للنفس، لما قال الله فيه: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١]، وقال: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [آل عمران: ١٦٩-١٧٠]؛ سارع إليه أهل الإيمان، فلما قال النبي ﷺ للصحابة وهو يُعِدُّهُم في غزوة

(١) أخرجه البخاري (٥٢٨) ومسلم (٦٦٧) واللفظ له.
(٢) أخرجه مسلم (٢٥٨٨).
(٣) أخرجه الترمذي (٣٧٠١).
(٤) أخرجه البخاري (٥٩٢٧) ومسلم (١١٥١).

بدر: (والذي نفس محمد بيده، لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرًا محتسبًا، مقبلاً غير مدبر، إلا أدخله الله الجنة). فقال عمير بن الحمام أخو بني سلمة، وفي يده تمرات يأكلهن: بخْ بخْ، أفما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء، ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه، فقاتل القوم حتى قتل[1].

جاءت الأوامر والنواهي في سياقٍ يخاطب الإنسان؛ كلَّ الإنسان، عقلَه وروحَه وقلبَه، نصحًا ووعظًا، فتبين محاسن الأمر الذي يأمر به وثمرته وثوابه، وقبائح الأمر الذي ينهى عنه وعاقبته ووعيده، والحكمة في هذا وذاك

وكذلك الأمر في المنهيات، بين الشرع قبحها وآثارها السيئة، فقال في الخمر والميسر: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١].

ولما جاء الشاب إلى النبي ﷺ فقال له: يا رسول الله ائذن لي بالزنى، فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مَهْ مَهْ، فقال: (ادْنُه) فدنا منه قريبًا، قال: فجلس، قال: (أتُحبه لأمك؟) قال: لا والله، جعلني الله فداءك. قال: (ولا الناس يحبونه لأمهاتهم)، قال: (أفتحبه لابنتك؟) قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداءك. قال: (ولا الناس يحبونه لبناتهم)، قال: (أفتحبه لأختك؟) قال: لا والله، جعلني الله فداءك. قال: (ولا الناس يحبونه لأخواتهم)، قال: (أفتحبه لعمتك؟) قال: لا والله، جعلني الله فداءك. قال: (ولا الناس يحبونه لعماتهم)، قال: (أفتحبه لخالتك؟) قال: لا والله، جعلني الله فداءك. قال: (ولا الناس يحبونه لخالاتهم)،

(١) سيرة ابن هشام (٦٢٧/١)، بَخ (بكسر الخاء وإسكانها) كلمة تقال في موضع الإعجاب.

قال: فوضع يده عليه، وقال: (اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصِّن فرجه) قال: فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء[1].

فلو أقبلنا على الإسلام نتعلمه كما أنزل لهانت المشقة ولما وجدنا إلا اليسر.

وذلك من جهتين:

من جهة إدراك حكمة الأوامر والنواهي، وجلّ أحكام الشريعة مذيل بالعلل والحكم، وكما قيل: من عرف ما قصد، هان عليه ما وجد.

ومن جهة العلم بما فيها من الأجر العظيم عند الله عز وجل، إذ العلم بالأجر يهون المشقة.

فإدراك الحكمة من العمل، والعلم بأجره في الدنيا والآخرة يهون المشقة، ويجعل الأمر يسيرًا على النفوس، بل يجعلها تجد في العمل لذة بدل المشقة.

- **الوجه الثالث:** كثيرًا ما تكون المشقة التي نشعر بها ليست من ذات التكليف، ولكنها من الظروف التي صاحبته، فحين تحاول أن تحافظ على نظافتك وطهارتك في بيئة ملوثة قذرة تشعر بالعنت الشديد، وحين تريد أن تعيش مستقيمًا في بيئة منحرفة تشعر بالمشقة، وحين تريد أن تكون صالحًا في بيئة تكثر فيها الفتن والموبقات تضيق عليك الأرض بما رحبت.

فكثير من المشقة التي نشعر بها ليست من ذات التكليف، ولكنها بسبب بُعد مجتمعاتنا عن التدين، بل ومحاربتها له أحيانًا، ليس على مستوى سلوك الناس فقط، بل على مستوى الأنظمة والقوانين الرسمية، فيشعر المسلم الملتزم بدينه بالغربة وتتولد المشقة والعنت من «السباحة ضد التيار».

(١) أخرجه أحمد (٢٢٢١١).

وأثر المحيط على المرء أمر ظاهر مسلّم، فلو كنت في محفل ودخل وقت الصلاة فقام جلّ من في المحفل إلى مكان أعد للصلاة، فما أهون أن تقوم معهم، بل ستشعر بالحرج من عدم مشاركتهم، بينما لو كان أهل المحفل لا يكترثون للصلاة، ولم يراعوا مواقيتها في برنامجهم، فقد تجد المشقة في الانسحاب والبحث عن مكان للصلاة، مع أن الصلاة هي الصلاة، ولكن قد يحتف بها من الأحوال ما يجعل أداءها سهلاً ميسرًا، وقد يحتف بها أحوال أخرى يجعل أداءها شاقًا عسيرًا.

إدراك الحكمة من التكاليف الشرعية، والعلم بأجرها في الدنيا والآخرة يهون المشقة، ويجعل الأمر يسيرًا على النفوس، بل يجعلها تجد في العمل لذة بدل المشقة

والإسلام ما نزل ليكون حالة منفردة، أو علاقة بين الفرد وربه فقط، بل نزل ليحكم مجتمعات البشر، وتسود أحكامه وتشريعاته، وحين يكون الأمر كذلك يستنشق الناس -كل الناس- الهواء النقي، ولا يبقى من مشقة العمل إلا ما كان من طبيعة التكليف، بل حتى هذه المشقة يخففها صلاح المجتمعات، وأن المرء يجد على الخير أعوانًا.

ومن هنا فقد نهى الإسلام أتباعه أن يقيموا بين أظهر المشركين فلا يتمكنوا من ممارسة دينهم وإظهار شعائره، وأمر بالجهاد حتى لا تكون فتنة بظهور الكافرين فيتسلطون على المؤمنين ويخضعونهم لثقافتهم فيشقون عليهم ﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ﴾ [آل عمران: ١١٨].

ومع ذلك، فإن الإسلام دين عملي واقعي، يعْلم أن أتباعه لن يعيشوا دائمًا ظروف الظهور والتمكن، وأنه سيأتي عليهم

زمان صعب يكون المتمسك بدينه كالقابض على الجمر، فكيف عالج هذا الأمر؟

لم يعالجه أبدًا بأن أباح لهم التملص من التكاليف، وتمييع الدين بحجة صعوبة الزمان أو المكان، ولكنه عالجه بأمرين:

الأمر الأول: بتعظيم الأجر، فوعدهم أن الأجر على قدر المشقة، فكلما زاد الأمر صعوبة لا يد لكم فيها زدتكم في الأجر، يقول النبي ﷺ: (يأتي على الناس زمان الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر)[1] وقال: (إن من ورائكم زمان صبر، للمتمسك فيه أجر خمسين شهيدًا)، فقال عمر: يا رسول الله، منا أو منهم؟ قال: (منكم)[2].

فزاده في الأجر حتى يشجعه ويرغبه في الصبر على أحكام الإسلام والتمسك به في الزمان الصعب.

والأمر الثاني: شرع لأتباعه رخصًا يترخصون بها عند الحاجة إليها، وأخبرهم أنهم حين يأخذون بها بضوابطها فإنه لا حرج عليهم البتة، بل (إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه)[3].

جاء في الدرر السنية في شرح هذا الحديث:

الدين يسر لا عسر، وقد أقر الله سبحانه وتعالى أحكامًا مؤكدة، وأحب من عباده أن يفعلوها، كما أنه سبحانه خفف عنهم، ورفع الحرج في أوقات الضيق والضرورة، والله سبحانه يحب من عباده المؤمنين أن يأخذوا بتخفيفه ورخصه، وهذا الحديث يوضح ذلك، حيث يقول النبي ﷺ: (إن الله يحب أن تؤتى رخصه)، والرخص هي التخفيفات في الأحكام والعبادات،

(١) أخرجه الترمذي (٢٢٦٠).
(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (١٠٣٩٤).
(٣) أخرجه ابن حبان (٣٥٤).

والتسهيل فيها على الـمكلف لعذر، ومحبة الله لها؛ لما فيها من دفع التكبر والترفع عن استباحة ما أباحه الشرع؛ فإن مَن استكبر وأنف مما أباحه الشرع وترفع عنه، فسد دينُه، (كما يحب أن تؤتى عزائمه) والعزائم هي الأمور واجبة الفعل؛ لأن أمر الله في الرخص والعزائم واحد، وهذا للتحذير من التنطع في الدين، والأخذ بالتشديد في جميع الأمور؛ فإن دين الله يسر.

وفي هذا تطييب لقلوب الضعفاء الذين يأخذون بالرخص لعلة عندهم؛ حتى لا ينتهي بهم ضعفهم إلى اليأس والقنوط من القدرة على فعل العزائم، فيتركوا الـميسور من الخير عليهم؛ لعجزهم عن الوصول لـمنتهى درجات العزائم، وهذا الحديث يوافق قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وهذا في عامة أمور الدين[1].

وأصبح من القواعد الكلية للشريعة «الضرورات تبيح المحظورات» و«المشقة تجلب التيسير» و«الأمر إذا ضاق اتسع» وأمثالها.

وخلاصة القول: صدق الله، وصدق رسول الله، الدين يسر بلا شك ولا ريب، ومن استحضر الغاية من خلقه، وعلم أن الدنيا دار بلاء، هان عليه ما يجد من المشقة، أما من غابت عنه هذه الحقائق فسيجد نفسه متكاسلاً متثاقلاً من كل تكليف وإن دق. ثم إن معرفة الحكمة من التشريع وأجر الأعمال يخفف مشقتها على النفوس، بل ربما استعذبتها في سبيل الله، والمرء إذا جعل نفسه في صحبة صالحة وبيئة كريمة سهل عليه فعل الخيرات وترك المنكرات ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الكهف: ٢٨]، ومن ابتلاه الله بأمر يشق عليه فليصبر وليبشر بأجر الله للصابرين، ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

(١) الدرر السنية، شرح حديث: إن الله يحب أن تؤتى رخصه.

تربية الدوافع السلوكية في القرآن.. أساليب وطرائق

أ. دانية نديم محمد صفو

ماجستير في التربية الإسلامية، بكالوريوس في علم النفس

حياتنا مبنية على سنن ونواميس، ومنها قانون السببية الذي يجعل النتائج مترتبة على أسبابها، وبذل الأسباب مطلوب في كل الأمور؛ في التعلم والعمل والعلاقات والعبادات، وخلف بذل السبب لا بد من دوافع فاعلة، تحفزنا للخطو نحو غاياتنا وأهدافنا المتنوعة. وهذه المقالة تضيء لنا عن كيفية معالجة القرآن الكريم للدوافع السلوكية وتهذيبها حتى يرتقي الإنسان ويسمو إلى أعلى الرتب وأسمى المعالي

مدخل:

اهتمّت الدراسات والنظريات النفسية والتربوية بالتعرف على العوامل المؤثرة في السلوك، ومن المواضيع التي تعرّضت لها موضوع الدوافع وأهميتها وعلاقتها بالسلوك على اختلافات بينها في تحديد تلك الدوافع والعوامل المؤثرة فيها، فمنهم من ربطها بالبيئة المحيطة كالنظرية السلوكية[١]، ومنهم من ربطها بالتوقّع كالنظرية المعرفية[٢]؛ وبالرجوع إلى المصدر الرئيس للتربية الإسلامية وهو القرآن الكريم نجد أنه أماط اللثام عن دوافع السلوك الإنساني بصورة واضحة، ولم يكتف بذلك بل رسم دستورًا ومنهجًا متوازنًا لتربيتها وضبطها؛ بهدف إحداث التوازن النفسي والانفعالي، فلا تطغى مطالب الروح على مطالب الجسد أو العكس، خلافًا لبعض القوانين التى مصدرها اجتهادات بشرية أو الديانات التي حُرِّفت وحُشيَت باجتهادات البشر، فأنتجت مواقف متناقضة نحو الدوافع متطرفة بين الإفراط والتفريط. وجاء القرآن الكريم ليقف

---

(١) النظرية السلوكية: نظرية مشهورة في علم النفس تركز على السلوك الظاهر الذي يمكن ملاحظته وقياسه بغض النظر عما يحدث داخل الفرد، وترى أن السلوكيات جميعها تُكتَسب عن طريق التكيّف والإشراط. أبرز مؤسسيها: جون واطسون (John Watson) وبي. إف. سكنر (B.F.SKINNER).

(٢) النظرية المعرفية: نظرية فى علم النفس تركز على الحالات الداخلية مثل التحفيز، الدافع، حل المشكلات، التفكير والانتباه. تسعى إلى شرح العمليات العقلية المختلفة بما فيها طريقة معالجة العقل للمعلومات وكيفية تأثير أفكارنا في المشاعر والسلوك. أبرز مؤسسيها جان بياجيه (Jean Piaget).

من الغرائز موقفًا وسطيًا فريدًا، وهذا أمر بدهي، لأن خالق الإنسان وغرائزه ودوافعه ونوازعه ومنزل القرآن الكريم هو الله تعالى.

مفهوم الدوافع وأهميتها:

«الدوافع هي القوى المحرّكة التي تبعث النشاط في الإنسان، وتبدأ بالسلوك، وتوجهه نحو هدف أو أهداف معينة، وهي تؤدي وظائف ضرورية مهمة، حيث تدفع الإنسان للقيام بإشباع حاجاته الأساسية الضرورية لحياته وبقائه، كما تدفعه إلى القيام بكثير من الأفعال الأخرى المهمة المفيدة له في توافقه»[١].

وللإنسان حاجات كثيرة، منها ما هو أساسي لا غنى له عنها لأنَّه يتوقَّف عليها حفظ حياته وبقاء نوعه، ومنها ما هو مهم وضروري لتحقيق أمنه وسعادته، وهذه الحاجات تدفع الإنسان إلى القيام بنشاطٍ توافقي لإشباع هذه الحاجات.

> **القرآن الكريم أماط اللثام عن دوافع السلوك الإنساني بصورةٍ واضحة، ولم يكتفِ بذلك بل رسم دستورًا ومنهجًا متوازنًا لتربيتها وضبطها؛ بهدف إحداث التوازن النفسي والانفعالي، فلا تطغى مطالب الروح على مطالب الجسد أو العكس**

تصنيفات الدوافع:

يقسم علماء النفس المعاصرون الدوافع إلى (شعورية) أي تدفع الإنسان للسلوك عن وعي بها وغاية يقصدها،

(١) التوجيه والإرشاد النفسي من القرآن الكريم والسنة النبوية، لمسفر الزهراني، ص (٧٧).

و(لاشعورية) تدفع الإنسان للسلوك عن غير وعي أو علم منه. كما يقسمونها في ضوء معيار آخر إلى فئتين رئيسيتين[١]:

١. الدوافع الفطرية (البيولوجية)، ويطلق عليها الدوافع الأولية.

٢. الدوافع المكتسبة، ويطلق عليها أيضًا الدوافع الثانوية.

ويذهب بعض الباحثين إلى أن تقسيم الدوافع إلى أولية وثانوية قد تكون خادعة أحيانًا، كأن يعتقد القارئ أن الأولية أكثر أهمية من الثانوية، لذا فإنه يفضل استخدام مصطلح الدوافع الفطرية ليضم تلك الدوافع التي لها أسس بيولوجية واضحة كالجوع والعطش والجنس والأمومة، واستخدام مصطلح الدوافع المكتسبة للإشارة إلى تلك الدوافع التي يتعلمها الفرد من البيئة المحيطة، كدافع التفوق والسيطرة والاحترام.

وظائف الدوافع:

عرّفنا سابقًا الدوافع بأنها القوى المحرّكة التي تبعث وتولّد النشاط في الإنسان وتبدأ بالسلوك وتحرّكه ثم توجّهه نحو تحقيق هدف معين، وتعمل أيضًا على المحافظة على استمراريته حتى يتحقق ذلك الهدف؛ لذا يمكن القول: إن للدافعية وظائف أساسية تعمل من خلالها لاستثارة الحركة والنشاط (السلوك) وهي[٢]:

أ. الوظيفة التنشيطية (التحريكية): فهو يمد السلوك بالطاقة فهو المحرك الأول له.

ب. الوظيفة التوجيهية (التنظيمية): فالدافع يعمل كمحرك في عملية اختيار السلوك المناسب الذي يلزم دون غيره في تلبية غرض الدافع.

(١) ينظر: أسس علم النفس التربوي، لمحيي الدين توق، وعبد الرحمن عدس، ص (٢٠٧).
(٢) دوافع السلوك في سويتها وانحرافها، لأحمد أبو شنب، ص (١٠).

ج. الوظيفة التدعيمية: الدافع عامل مدعّم ومعزّز، يستمر بتحريض السلوك وتحريكه وتوجيهه حتى يلبّي غرضه ويساعد الفرد على انتقاء الاستجابات الصحيحة والعمل على تدعيمها.

مفهوم الهدف يعدّ مكونًا أساسيًا لطبيعة الدافعية، حيث يعتمد الهدف الذي يودّ الفرد تحقيقه على الشعور بالمشكلة، وتوجيه السلوك نحو التغلب عليها تلبية لغرض الدافع

نلاحظ من الوظائف الثلاث السابقة أن مفهوم الهدف يعدّ مكونًا أساسيًا لطبيعة الدافعية، حيث يعتمد الهدف الذى يودّ الفرد تحقيقه على الشعور بالمشكلة، وتوجيه السلوك نحو التغلب عليها تلبية لغرض الدافع.

ويمكن تقديم المثال الآتي لتوضيح الوظائف التي تعمل الدافعية من خلالها:

طالب يدخل المكتبة، ويتوجه إلى رفوف الكتب، ويبدأ يتناول كتابًا بعد كتاب، متفحصًا العناوين ويعيد الكتب مرة ثانية، وهو ينتقل من كتاب لآخر بسرعة متزايدة ويذهب إلى بطاقات الفهرس ويسحب كتابًا ثم يجلس بهدوء مع الكتاب على أحد المقاعد؛ من هذا التتابع للأفعال التي قام بها الطالب يَستنتج معظم الباحثين دافعًا من الدوافع: أن الطالب «أراد» كتابًا معينًا أو «احتاج إلى» كتاب معين، وإذا أخفق في إيجاده بسهولة طفق يبحث عن طريقة أخرى لعله يجد فيها التوفيق المنشود، وحالما يتوصل إلى الشيء الذي يرغبه ويصبح في متناول يديه ينتهي التتابع الأول للسلوك (البحث) ويبدأ تتابع جديد

(القراءة)، فالدافع هنا يستثير النشاط للحركة ويحدد الوجهة التي يأخذها النشاط في سبيل الوصول إلى الهدف وتحقيقه[١].

نظرة الإسلام للدوافع:

لعل أهم ما تتميز به نظرة الإسلام للدوافع البشرية عن النظريات الأخرى أنها تراعي طبيعة الإنسان البشرية ثم تعمل على سمو هذه الطبيعة، فهي لا تقسر الكائن البشري على ما ليس من طبيعته كما تصنع النظم المثالية، وإن كانت في الوقت ذاته تعمل على تهذيب هذه الطبيعة إلى الحد المستطاع، دون أن تكبت شيئًا من النوازع الفطرية، أو تطلق لهيجانها العنان -كما فعلت بعض النظريات- ولا تمزق الفرد بين الضغط الواقع عليه من هذه النوازع وبين المثل العليا التي يرسمها له، فالإنسان لديه نوازع فطرية تربطه بالأرض، لأن الحياة -في أهدافها العليا- لا تتحقق بغير وجود هذه النوازع القوية الملحة، ولديه في الوقت ذاته نزعة فطرية تهدف به إلى الارتفاع والسمو، ومحاولة الانطلاق ولو قليلاً من روابط الأرض؛ والإنسان في نظر الإسلام «كائن لا هو بالملاك ولا هو بالحيوان، وإن كان قادرًا أن يصبح أسوأ من الحيوان أحيانًا، وفي أحيان أخرى يستطيع أن يسمو بروحه إلى مستوى الملائكة من الطهر، ولكن في حالته الطبيعية شيء بين هذا وذاك»[٢].

ومن هنا كان إيجاد التوازن في نفس الفرد من أهداف التربية الإسلامية، فالإسلام يكره فقدان التوازن حتى لو كان إلى أعلى، لأنه يحرص على أهداف الحياة العليا التي لا تتحقق بغير الاستجابة لنوازع الأرض، ومن هنا جاء في الشرع الإسلامي (لا رهبانية في الإسلام)، قال تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾ [الحديد: ٢٧]. فالرهبانية -من وجهة نظر مؤيديها-

(١) أسس علم النفس العام، لطلعت منصور وآخرين، ص (١١٠) بتصرف.
(٢) الإنسان بين المادية والإسلام، لمحمد قطب، ص (٦٩).

ارتفاع بالحياة عن نوازع الجسد، ورقي بالروح للمستوى الملائكي، ولكنها –في نظر الإسلام– اختلال وعدم توازن، يعطل أهداف الحياة، ويعذب الفرد في سبيل هدف –مهما يكن نظيفاً في ذاته– فهو غير عادل بالنسبة للفرد والمجتمع والحياة، ومن هنا يتضح أن الإسلام يسعى إلى التوفيق الدائم بين أهداف الحياة وضرورات المجتمع ونوازع الفرد، دون أن يطغى هدف على هدف، ولا مصلحة على مصلحة، وإنما يسير الكل في توافق واتِّساق(١).

الإسلام يقر ويعترف بالأنواع الثلاثة للدوافع، ولكن ليس المراد بالدافعية من المنظور الإسلامي الدوافع الفيسيولوجية التي تنتقل للفرد عن طريق الوراثة وتُلبّى بدافع فطري فقط، ولا الدوافع المكتسبة التي يكتسبها الفرد من مثيرات بيئته الخارجية فتجعله خاضعًا للبيئة والظروف الخارجية، وإنما المراد بالدافعية الإسلامية «تلك الدوافع التي يكتسبها الفرد المسلم جراء تفاعله مع تعاليم دينه ومن خلال عملية التربية الإسلامية في مجتمعه المسلم، بحيث يكون رضى الله ومحبته وثوابه والسعي لجنته والهروب من ناره محور حياته»(٢)، ومِن ثَمَّ فالدوافع ستلبى لا امتثالاً لها، بل امتثالاً لأمر الله، ولأن الله تعالى أمر بتلبيتها.

كما عبّر بعض الباحثين عن مفهوم تربية الدوافع في الإسلام بـ «الضبط الذاتي التربوي»: فيرى عبد الحميد الهاشمي أن «الميزة الكبرى لعملية الضبط الذاتي في تنشئة الإنسان وتربيته هي كونها تستند إلى عوامل داخلية عضوية جسمية إلى جانب عوامل نفسية ذاتية، وهذا ما يجعل الضبط الذاتي التربوي عملية صحية في تكامل الفرد ونموه السوي السليم، بعكس

(١) المرجع السابق، ص (٧٠) بتصرف.

(٢) الدافعية النفسية في العقيدة الإسلامية، لمروان القيسي، مجلة جامعة الملك سعود، م١٠، العلوم التربوية والدراسات الإسلامية، ص (٩٥)، ١٩٩٨م.

عمليات (الكبت)؛ فإنها مفروضة قسرًا من المجتمع على النفس، كما أن ما يُدعى بعمليات (الإرشاد والتوجيه النفسي) وحدها هي في عمومها عمليات تبدأ من خارج النفس؛ لذا فإن عمليات الضبط الذاتي التربوي تكون أكثر يسرًا وسهولة في نمو النفس لأنها تمسُّ الدوافع ذاتها قوة ودرجة واتجاهًا وهدفًا»[1].

نظرة الإسلام للدوافع تراعي الطبيعة البشرية؛ فهي لا تقسر الإنسان على ما ليس من طبيعته، وفي ذات الوقت تعمل على تهذيب هذه الطبيعة إلى الحد المستطاع، دون أن تكبت شيئًا من النوازع الفطرية، أو تطلق لهيجانها العنان، ولا تمزِّق الفرد بين الضغط الواقع عليه من هذه النوازع وبين المثل العليا التي يرسمها له

طرق وأساليب تربية الدوافع في القرآن:

«لم يَدَعِ الإسلام وسيلة نافعة لا شر فيها إلا استخدمها في إدارة دوافع الإنسان وتربيتها، وذلك لأن الناس أصناف، وكل صنف منهم قد تلائمه وسيلة من الوسائل وتتناسب مع خصائصه النفسية والفكرية، في حين أنه قد لا تجدي معه وسيلة أخرى، وحركة الإسلام الإصلاحية لابد أن تأخذ بكل الوسائل لتلائم كل الناس»[2]، وهذه الوسائل نابعة من روح الشريعة الإسلامية، ومنهجها الذي يأمر بتحري الحلال، والإشباع المتوسط، وعدم الإسراف، والحرص على إخلاص النية

(١) لمحات نفسية في القرآن، لعبد الحميد الهاشمي، مجلة دعوة الحق العدد ١١، ١٤٠٢هـ، مكة المكرمة، ص (١١٦-١١٧).

(٢) الأخلاق الإسلامية وأسسها، لعبد الرحمن حبنكة الميداني، ص (٢٠٧)، بتصرف يسير.

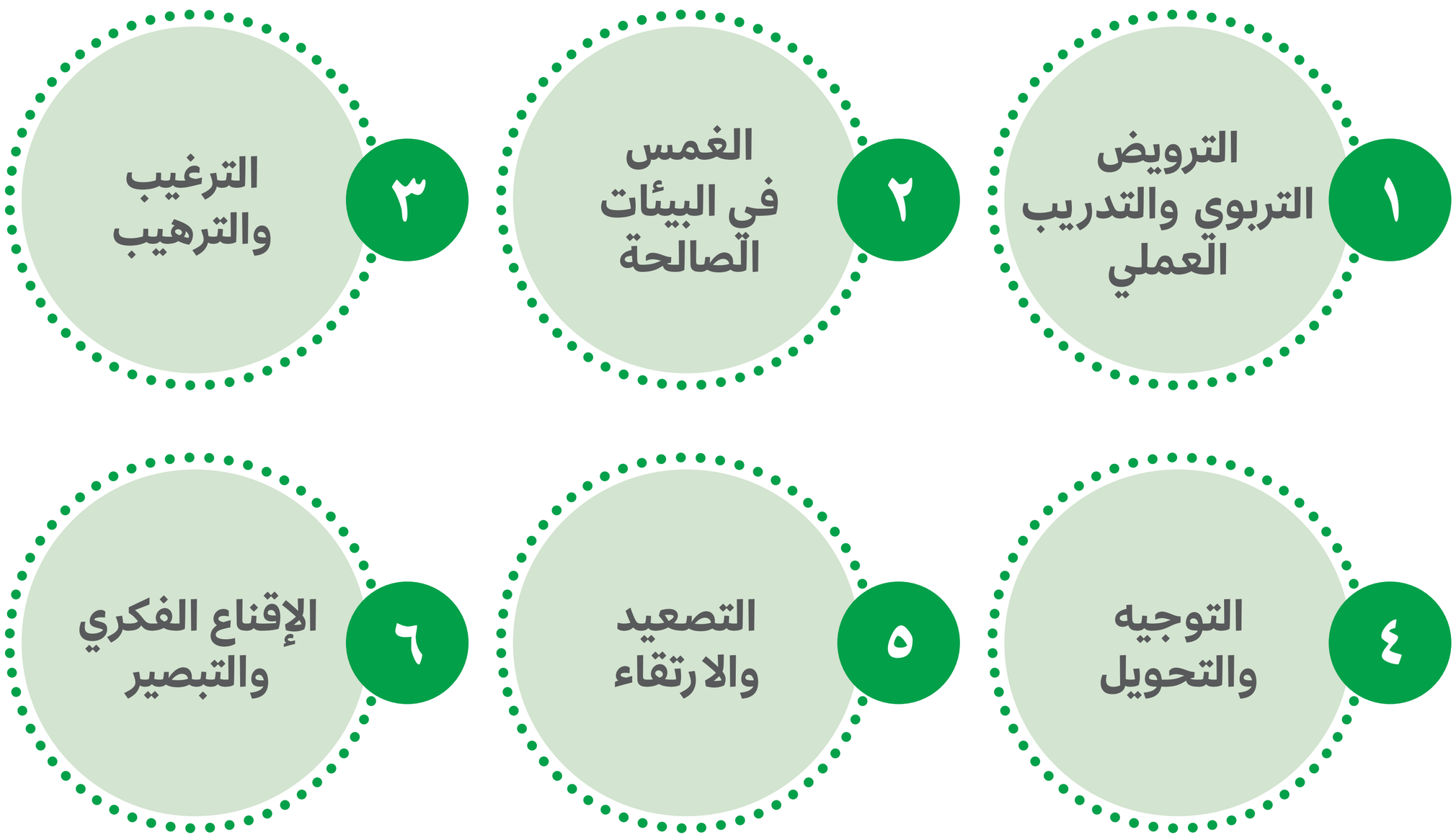

حتى لا تتحول الوسائل إلى غايات، وحتى تبقى هذه الدوافع موجهة لخدمة المقصد الكبير من خلق الإنسان[١].

ولقد تعددت طرق تربية الدوافع وتهذيبها في القرآن، وذلك حسب نوع الدافع واختيار الطريق المشروع لإشباعه ونستطيع أن نجملها بالآتي:

١- الترويض التربوي والتدريب العملي:

أودع الله تعالى في النفس الإنسانية الاستعداد الفطري لتعديل ميولها واكتساب الفضائل، وجعل سبحانه وتعالى الإنسان مسؤولاً عن تصرفاته وسلوكياته، وأعطاه القدرة على اختيار السلوك المناسب وفق إرادته، ومن الأمور التي سلكتها التربية الإسلامية في تهذيب سلوك الإنسان وإكسابه الفضائل: ترويض النفس على التزكية ومخالفة الهوى بالتمرس والمران،

(١) ينظر: دليل الأنفس بين القرآن الكريم والعلم الحديث، لمحمد عز الدين توفيق، ص (٤٣٦).

فالتدريب العملي والممارسة التطبيقية من الأمور التي تكسب النفس العادة طال الزمن أو قصر، وإذا تغلغلت في النفس أصبحت أمرًا محببًا، وتطورت لتصبح سجية ثابتة تدفع صاحبها لممارسة ظواهرها باندفاع ذاتي دون أن يجد مشقة أو معارضة أو عقبة من داخل نفسه، فهي بمنزلة الدوافع المكتسبة(١)، ويدل على هذا المعنى قول الله تعالى في تدريب النفوس على الصبر لتهذيب غريزة الغضب: ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٥]، يقول ابن عاشور في تفسير هذه الآية: «وهذا تحريض على الارتياض بهذه الخصلة، بإظهار احتياجها إلى قوة عزم، وشدة مراس للصبر على ترك هوى النفس في حب الانتقام»(٢).

وقول النبي ﷺ: (إنما العلم بالتعلم، وإنما الحلم بالتحلم، ومن يتحر الخير يعطه، ومن يتق الشر يوقه)(٣).

وقوله ﷺ: (من يستعفف يعفُّه الله، ومن يستغن يغنِهِ الله، ومن يتصبر يصبِّره الله)(٤).

٢- الغمس في البيئات الصالحة:

من الطرق المتبعة في تربية الدوافع وضبطها الانغماس في البيئات الصالحة؛ وذلك لأن الإنسان عندما ينخرط في سلك جماعة صالحة يجد نفسه مدفوعًا بقوة -لا شعورية- ضاغطة لاستحسان ما تستحسنه، واستقباح ما تستقبحه والنفور منه، يضاف إلى ذلك أن عنصر التقليد والقدوة الحسنة ودافع التقبل والاستحسان الاجتماعي ودافع المنافسة الموجود في الإنسان؛ كل ذلك يجعل الفرد يتقبل ويُقبِل على التدريبات العملية لتربية النفس التي تمارسها

(١) الأخلاق الإسلامية وأسسها، لعبد الرحمن حبنكة الميداني، ص (٢٠٩)، بتصرف شديد.
(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٩٤/٢٤).
(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط (٢٦٦٣).
(٤) أخرجه البخاري (١٤٦٩)، ومسلم (١٠٥٣).

الجماعة، كما أن عامل التكرار ومرور الزمن مع الانخراط في تلك الجماعات يجعل المكررات عادات متمكنة في الفرد وذات جذور عميقة في نفسه، وذلك حتى لو كانت نفسه نزّاعة إلى غير ذلك؛ وبذلك يغدو أمر تربية دوافع سلوك الفرد وتهذيبها تعمل بشكل تلقائي ويُسر، وهنا لا يتعرض الفرد للصراع والنزاع الذي يتعرض له من يعيش في البيئات المنحرفة التي تؤدي الدور نفسه في اتجاه معاكس تمامًا، يقول الإمام الغزالي: «أما الفاسق المصرّ على الفسق فلا فائدة في صحبته،... ومشاهدة الفسق والفساق تهوّن أمر المعصية على القلب، وتبطل نفرة القلب عنها»[1]، وبهذا جاء التوجيه الرباني في قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨]، قال ابن كثير في تفسير هذه الآية الكريمة: «اجلس مع الذين يذكرون الله، ويهللونه ويحمدونه ويسبحونه ويكبرونه، ويسألونه بكرة وعشيًا، من عباد الله سواء كانوا فقراء أو أغنياء، أو أقوياء أو ضعفاء،.. وقوله: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا﴾ أي شغل عن الدين وعبادة ربه بالدنيا ﴿وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ أي أعماله وأفعاله سفه وتفريط وضياع، ولا تكن مطيعًا ولا محبًا لطريقته، ولا تغبطه بما هو فيه»[2].

> «أمَّا الفاسق المصرّ على الفسق فلا فائدة في صحبته، ومشاهدة الفسق والفساق تهوّن أمر المعصية على القلب، وتبطل نفرة القلب عنها»
>
> الإمام الغزالي

(١) إحياء علوم الدين، للغزالي (٢/١٧١-١٧٢).
(٢) تفسير ابن كثير، (٣/١٠٠).

٣- الترغيب والترهيب:

لا شك أن تحريك محوري الطمع بالإثابة والخوف من العقاب، له الأثر الكبير والقوي في تربية السلوك الإنساني، وقد أوجد الله للإنسان من دوافع الرغبة والرهبة ما هو كفيل لخلق التحفيز والتحريك الداخلي للنفس الإنسانية للإقبال على كل ما يجلب الإكرام والمكافأة، والابتعاد عما يسبب الألم والعقاب.

ولّما كانت الدوافع هي محركات وبواعث تدفع الشخص للقيام بسلوك ما، لسد خلل أو نقص أو لتحقيق كمال، عمل الإسلام على تربية الدوافع وتوظيفها المثمر في ربط تغيير السلوك وتهذيبه لدى الإنسان بتحصيل المنافع المادية والمعنوية للفرد، مثل: الحسنات، البركات، التوفيق، الجنات، الرضوان، انشراح الصدر وغيرها.. وبدفع مضار مختلفة عنه مادية ومعنوية مثل: السيئات، والعذاب، الخسران، وضيق الصدر[١].

وهذه كلها تعمل كمعززات سلوكية قوية لدى النفس الإنسانية التي جُبلت على حب تحصيل المنافع لها ودفع المضار عنها، والأدلة على ذلك في القرآن الكريم كثيرة؛ فلا تكاد تخلو سورة مِن ذكر نوع من أنواع الترغيب والترهيب، ومن أمثلة ذلك قول الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾ [طه: ١٢٣-١٢٦].

(١) ينظر: أصول التربية الإسلامية وتطبيقاتها، لعدنان خطاطبة، ص (٢٣٠).

٤- التوجيه والتحويل:

من المعلوم أنه لا يوجد دافع من دوافع السلوك إلا ويمكن توجيهه للخير أو للشر، والقرآن الكريم جاء بأساليب لتوجيه الدافع نحو الخير والنفع للإنسان والمجتمع وتحويله للوجهة السليمة التي شرعها الله للعباد، وفي ذلك محاولة لتوجيه طاقات وشحنات الدافع لاستثمارها وتوظيفها فيما فيه الخير والنفع.

ومن أمثلة ذلك:

أن نأخذ إنسانًا لديه دافع قوي في امتلاك المال، ثم نملأ قلبه إيمانًا بالله واليوم الآخر وأن ما عند الله خير وأبقى، ونوجهه إلى السعي لامتلاك المال بطريق مشروع وحلال دون أن يستحوذ هذا المال على تفكيره وعقله وقلبه، ثم نعمل على تحويل حبه للامتلاك كوسيلة لمرضاة الله –فهو ليس هدفًا بحد ذاته– فنرشده إلى قيمة التصدق والإنفاق في سبيل الله ونحثه عليها، وهكذا تنصرف نفسه –انصرافًا كليًا أو جزئيًا– عن التعلق بالمال ويتجه إلى مرضاة الله بالكسب والإنفاق.

وبهذا التحويل الكلي أو الجزئي يعتدل دافعه، ومِن ثَمَّ يتكون لديه سلوك فاضل، وهنا فإن التربية الإسلامية لم تقتلع الدافع من جذوره ولم تكبته أو تَحرم إشباع ذلك الدافع، ولكن جرى فيه تحويل إلى ما هو خير.

وهكذا انتهج القرآن الكريم خطة التوجيه والتحويل في تهذيب كثير من الدوافع، فعلى سبيل المثال جاء في توجيه دافع التنافس لأعمال الخير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝٢٢ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ۝٢٣ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ۝٢٤ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ ۝٢٥ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٢-٢٦]، وقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].

لا يوجد دافع من دوافع السلوك إلا ويمكن توجيهه للخير أو للشر، والقرآن الكريم جاء بأساليب لتوجيه الدافع نحو الخير والنفع للإنسان والمجتمع وتحويله للوجهة السليمة التي شرعها الله للعباد

٥- التصعيد:

وهو نوع من «تحويل التطلع الإنساني عن الصغائر والدنايا وتوجيهه لمعالي الأمور..، لما فيه كمال ورفعة بين الناس وكمال ورفعة عند الله»[١]، وبمعنى آخر هو إعلاء الدوافع عن مقاصدها الآنية إلى مقاصد بعيدة أجلُّ وأسمى، تحقق لصاحبها سعادة دائمة ومجدًا حقيقيًا، وذلك كتوجيه دافع العدوان إلى مجاهدة الأعداء والظالمين.

ومن التربية بالتصعيد قول الله لرسوله ﷺ: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [طه: ١٣١]، فقد وضح الله تعالى في الآية أن كل ما يتمتع به الناس في الحياة الدنيا هو في واقع حاله كالزهرة، ومن صفات الزهرة أنها تغري ولكنها قصيرة العمر سريعة الذبول والفناء، فالعاقل يبحث عن نعيم حقيقي باق وهو أيضًا مادة لامتحان الناس وابتلائهم ﴿لِنَفْتِنَهُم فيهِ﴾[٢].

٦- الإقناع الفكري والتبصير:

وهي من الطرق المؤثرة في تهذيب الدوافع، فبث المعرفة التي تدرك فيها الفضائل والرذائل، وتعلم آثارها المحمودة والمذمومة، وثمراتها العاجلة والآجلة، من شأنه أن يولد حافزًا ذاتيًا يشجع النفس على كبح جماح الدافع وتوجيهه نحو

(١) الأخلاق الإسلامية وأسسها، لعبد الرحمن حبنكة الميداني (٢/٢٠٠).
(٢) المرجع السابق (٢/٢٠١).

غايات نبيلة وعظيمة، وقد حازت التربية بالإقناع الفكري والتثقيف أهمية كبيرة في القرآن، ولها وسائل وأساليب متعددة كالموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن والحوار، وهي من الطرق التي سلكها رسولنا الكريم ﷺ لتهذيب الأخلاق والسلوك، ومن الأمثلة التي تدل على قوة الإقناع الفكري في تهذيب الدوافع قصة ذلك الشاب الممتلئ شبابًا وقوةً وشهوةً الذي جاء يستأذن النبي ﷺ في الزنا، فما كان من النبي ﷺ إلا أن حاوره وفتح عينه إلى الجوانب الفكرية والوجدانية التي قد غفل عنها؛ حيث قال له: (ادْنُه) -إشعارًا له بالأمن- فدنا منه قريبًا، قال: فجلس، قال: (أتحبه لأمك؟) قال: لا والله، جعلني الله فداءك. قال: (ولا الناس يحبونه لأمهاتهم) قال: (أفتحبه لابنتك؟) قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداءك. قال: (ولا الناس يحبونه لبناتهم) قال: (أفتحبه لأختك؟) قال: لا والله، جعلني الله فداءك. قال: (ولا الناس يحبونه لأخواتهم) قال: (أفتحبه لعمتك؟) قال: لا والله، جعلني الله فداءك. قال: (ولا الناس يحبونه لعماتهم) قال: (أفتحبه لخالتك؟) قال: لا والله، جعلني الله فداءك. قال: (ولا الناس يحبونه لخالاتهم) قال: فوضع يده عليه، وقال: (اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصن فرجه) قال: فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء[1].

وضَّح الله تعالى أنَّ كلَّ ما يتمتَّع به الناس في الحياة الدنيا هو في واقع حاله كالزهرة، ومن صفات الزهرة أنها تُغري ولكنها قصيرة العمر سريعة الذبول والفناء، فالعاقل يبحث عن نعيمٍ حقيقي باقٍ

(١) أخرجه أحمد (٢٢٢١١)، والطبراني في الكبير (٧٦٧٩).

وقد لفت القرآن في تهذيب دافع العدوان إلى سعي الشيطان لتحفيز العدوان عند الإنسان، وإيقاع الكراهية بين الناس بوسائل شتى فأشار إليها بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١].

الخاتمة:

مما سبق نجد أنه تعددت طرق تربية الدوافع وتهذيبها في القرآن، وذلك حسب نوع الدافع واختيار الطريق المشروع لإشباعه، ونرى أن التربية القرآنية تنظر للمتربي من منظور استخلاف، لذا فإن تربية الدوافع وفق توجيهات القرآن الكريم اتجهت نحو التنظيم لا المنع، وحتى عندما كانت بعض التوجيهات تمنع جانبًا من إشباع الدافع فلم يكن الهدف كبت الدافع؛ بل لتضبط انطلاقه وتوجه مساره، ولترفع مستواه لينطلق في أفق أعلى وأرقى.

لفت القرآن في تهذيب دافع العدوان إلى سعي الشيطان لتحفيز العدوان عند الإنسان، وإيقاع الكراهية بين الناس بوسائل شتى، ووجه إلى اليقظة والتنبه لذلك

أدوار الفرق المنحرفة في تشويه التاريخ الإسلامي

د. محمد بن عبد الله السلومي

باحث في الدراسات التاريخية ودراسات العمل الخيري والقطاع الثالث

تاريخ أمة الإسلام تاريخ رفيع مشرف في جملته، وفهم هذا التاريخ على حقيقته يتطلب كثيرًا من البحث والتحقيق والسَّبر والاستقراء، وذلك بسبب تعرضه للتشويه والطعن بروايات مكذوبة مختلقة متنوعة الأهداف والمقاصد، وفي هذه المقالة استعراض لهذه الظاهرة وأهدافها، ومواضع ورودها، وأبرز الجهود التي واجهتها

مدخل:

تَعرَّض التاريخ الإسلامي من قِبل كثير من الفِرَق المنحرفة إلى تشويه متعمد كتابةً وتأليفًا وتزويرًا، خاصةً من أرباب العقائد الباطنية من الرافضة وفرق الباطنية كالقرامطة والإسماعيلية والعبيدية (الفاطمية) أو من تأثر بهم، إضافةً إلى الخوارج والمعتزلة والشعوبيين، لكن التاريخ الصحيح قد دوَّنه أهل العلم والمختصون، فبقي محفوظًا بوروده الكثيرة وأشواكه المتنوعة، وعن دوله ومجتمعاته، ورجاله وعلمائه رغم حاجته للتحقيق وتمحيص الروايات والأخبار، كما كتب المختصُّون عن ضلال هذه الفِرَق والعقائد المنحرفة وأثرها في التاريخ الإسلامي كما سيأتي بيانه[1].

ولا غرابة في هذا التشويه المتعمَّد بحقِ التاريخ قياسًا بتشويه الإسلام ذاته بعقائد منحرفة، إضافة إلى تكفير هذه الفِرَق

(١) يُلحظ أن حركة التشويه للتاريخ من النتائج الواضحة للحركات الباطنية، وهذا ما رصدته العديد من الرسائل والبحوث العلمية، ومنها رسائل الباحث الدكتور سليمان السلومي رحمه الله، في رسالته عن (القرامطة) على سبيل المثال حول ادعاء الرافضة للنسب العلوي، وما ترتب على هذه الدعاوى والمزاعم من جناية على التاريخ وعلى أمة الإسلام بالسب المباشر أو الدس والتشويه باختلاف وتفاوت بين المؤرخين؛ حيث دوَّن بعض المؤلفين لكتب التاريخ أخطاء وإساءات بحق الصحابة وغيرهم، لا سيما ممن عاش من المؤرخين في عصور سيادة هذه الفرق وقوتها، أو ممن تأثر بهم أو تأثر بتلك العقائد المنحرفة المشوِّهة للتاريخ فيما بعد، وقد كان من النتائج ما أورده الباحث سليمان في رسالته الأخرى وهي عن (الإسماعيلية) وذلك في الباب الأول من الفصل الثاني حول الوقيعة في الصحابة رضي الله عنهم، وحول دعوى تحريف القرآن، وعن أدوار عبدالله بن سبأ في نشأة التشيُّع، وبالتالي تشويه حركة التاريخ وكتابته، ومع هذا فإن المؤلف في كلتا الرسالتين لم يكتب عن أدوارهم وأثرهم على حركة التاريخ وكتابته بصورة مباشرة أو مفردة!

الضالة لمعظم صحابة رسول الله ﷺ ولعموم أمة الإسلام ومن جاء بعدهم! ولم يتوقف هذا التشويه عند المعاصرين للأحداث، بل نال التدوين المتأخر من التاريخ المتقدم نصيبه من التشويه الممنهج بكتب كثيرة وكتابات متنوعة، عزَّزها تأخر تدوين العديد من المؤلفات التاريخية المعنية بتاريخ بني أمية؛ فكتابة تاريخ بني أمية (الدولة الأموية) مثلاً لم يُكتب إلا زمن منافسيهم بني العباس (الدولة العباسية)، وهو زمن استعلاء الكثير من هذه الفرق، كما أن في بعض تلك الكتابات مداراة أو مُجاراة لبعض الـخلفاء العباسيين، وهو ما أسهم كذلك في بعض التشويه التاريخي.

دسائس تاريخية:

إن من أخطر ما قامت به الفرق المنحرفة هو محاولة تشويه تاريخ المسلمين، بإثارة الشبهات والطعون على الأحداث والوقائع والشخصيات، واختلاق الأخبار الكاذبة، ودس الروايات المشبوهة في ثنايا التاريخ، ثم العمل على نشرها وإشاعتها في الأوساط الإسلامية.

ثم تلقَّفتها بعض الكتب ودوَّنتها باختلاف مستوياتها، وتفاوُت مؤلفيها ما بين شيعي رافضي ومعتدل، وبين ناقلٍ لروايات غير صحيحة استهدفت بعض الصحابة رضي الله عنهم، وطعن بعضها في تاريخ الإسلام، وخاصة تاريخ الدولة الأموية (٤١-١٣١هـ) وذلك بعلم أو بغير علم[1]، ومن أبرز هذه الكتب:

- كتاب (فتوح الشام) لمحمد بن عمر الواقدي [ت ٢٠٧هـ]، ورواياته واهية.
- وكتاب (الإمامة والسياسة) المنسوب لابن قتيبة الدينوري والمُنتحَل عليه كذبًا [ت ٢٧٦هـ].

(١) ينظر عن أنموذج من كشف هذا التشويه في التاريخ: دروس في التاريخ، للدكتور محمد العبدة ، ص (٥٣-٥٨)، وص (١٥٦-١٧٠).

- وكتاب (تاريخ اليعقوبي) لأحمد بن إسحاق اليعقوبي [ت ٢٨٤هـ].
- وكتاب (الفتوح) لابن الأعثم الكوفي [ت ٣١٤هـ].
- وكتاب (الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية) لمحمد بن علي بن طباطبا [ت ٣٢٢هـ].
- وكتاب (مروج الذهب ومعادن الجوهر) لعلي بن الحسين المسعودي [ت ٣٤٦هـ]، وهو معتزلي كذاب.
- وكتاب (الأغاني) لأبي الفرج الأصفهاني [ت ٣٥٦هـ]، وهو شيعي كذاب.
- كتاب (نهج البلاغة) للشريف الرضي [ت ٤٠٦هـ]، وهو شيعي.

وغير هذه من بعض الكتب المتأخرة، وعلى رأسها كثير من كتابات المستشرقين ورواياتهم التاريخية التي أكملت روايات وآثار الرافضة والباطنية بالكتابة في التاريخ الإسلامي.

بل إنَّ العديد من كتب أهل العلم قد نقلت مثل هذه الروايات المكذوبة أو المحرفة بناءً على المنهج القديم في التأليف بذكر الروايات وأسانيدها، عملاً بالقاعدة المعروفة عندهم: من أسند فقد برئت ذمته.

من أخطر ما قامت به الفرق المنحرفة هو محاولة تشويه تاريخ المسلمين، بإثارة الشبهات والطعون على الأحداث والوقائع والشخصيات، واختلاق الأخبار الكاذبة، ودس الروايات المشبوهة في ثنايا التاريخ، ثم العمل على نشرها وإشاعتها في الأوساط الإسلامية

قال ابن خلدون: «إنَّ فحول المؤرخين في الإسلام قد استوعبوا أخبار الأيام وجمعوها، وسطروها في صفحات الدفاتر وأودعوها، وخلطها المتطفِّلون بدسائس من الباطل وَهِمُوا فيها وابتدعوها، وزخارف من الروايات الـمُضعفة لفَّقوها ووضعوها، واقتفى تلك الآثار كثير ممَّن بعدهم واتَّبعوها، وأدَّوها إلينا كما سمعوها، ولم يُلاحظوا أسباب الوقائع والأحوال ولم يُراعوها، ولا رفضوا ترَّهات الأحاديث ولا دفعوها، فالتَّحقيق قليل، وطَرْف التنقيح في الغالب كليل، والغلط والوهم نسيب للأخبار وخليل، والتَّقليد عريق في الآدميِّين وسليل، والتَّطفُّل على الفنون عريض طويل، ومرعى الجهل بين الأنام وخيم وبيل، والحقُّ لا يقاوَم سلطانه، والباطل يُقذَف بشهاب النَّظر شيطانه، والناقل إنما هو يُملي ويَنْقُل، والبصيرة تنقد الصحيح إذا تمقَّل، والعلم يجلو لها صفحات القلوب ويَصقل.

هذا وقد دوَّن الناس في الأخبار وأكثروا، وجمعوا تواريخ الأمم والدول في العالم وسطَّروا، والذين ذهبوا بفضل الشُّهرة والإمامة المعتبرة، واستفرغوا دواوين من قبلهم في صحفهم المتأخِّرة، هم قليلون لا يكادون يجاوزون عدد الأنامل»[1].

أمثلة على تشويه ودسائس هذه الفرق:

من أمثلة هذا التشويه:

١. الروايات الباطلة في ذم الصحابة والطعن فيهم، وتشويه سيرهم.
٢. الروايات الباطلة في النص على إمامة وخلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأن الصحابة قد اغتصبوها منه.

(١) مقدمة ابن خلدون (١/٦-٧).

٣. الروايات الكثيرة الباطلة فيما شجر بين الصحابة ﷺ من خلاف[(١)].

٤. ما أثير من شبهات حول خلافة معاوية بن أبى سفيان الأموي ﷺ والدولة الأموية على وجه الخصوص، سواء في خلفائها، أو سيرتها، أو فتوحاتها، وهي شبهات تضعف الثقة بتاريخ أمة الإسلام لا سيما أن الدولة الأموية أعظم دولة بعد دولة الخلفاء الراشدين في نشر الإسلام وخدمته.

وقد وصلت محاولات تشويه تاريخ الإسلام إلى تأثر بعض المؤرخين المعاصرين من أهل السنة بهذه المرويات، إضافةً إلى كتابات المستشرقين التي اعتمدت على بعض ما ورد في المصادر سابقة الذكر، وذلك بالعمل على ترسيخ أن تاريخ الخلفاء الراشدين هو التاريخ الإسلامي الوحيد الذي يمكن أن تعتز به الأمة المسلمة! بل اختزل بعضهم التاريخ الناصع بزمن أبي بكر وعمر ﷺ فقط وما سوى هذا فهو تاريخ استبدادي دموي أسود، باستثناء خلافة عمر بن عبد العزيز رحمه الله! وهذا التشويه الجنائي المتعمَّد في تضخيم الأخطاء، واختزال حضارية عطاء التاريخ الإسلامي والأموي -خصوصًا- وفتوحاته وعدالته وقِيَمه الجاذبة لغير المسلمين يُعدُّ جناية كبرى بحق أمة الإسلام وتاريخها، ولا شك أن تاريخ الدول الإسلامية ليس كتاريخ الخلفاء الراشدين، لكن هذا لا يعني الانتقاص منه وتشويهه ورميه بكل عيب!

وقد لفتت حركة التشويه انتباه بعض الباحثين من الغربيين من غير المسلمين حينما تفاجأ بكثير من حقائق التاريخ مما تم تشويهه أو طمسه أو تزويره بصورةٍ تستوجب التصحيح

(١) ينظر: العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، للقاضي أبي بكر بن العربي، ومنهاج السنة النبوية، لابن تيمية. وقد تصدى د. محمد أمحزون في دراسته القيمة (تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الإمام الطبري والمحدثين) إلى الكثير من هذه الروايات وبين حقيقتها، فليراجع.

وهو ما جعله يكتب بحثًا خاصًا عن معاوية ﷺ، موضحًا لكثير من حقائق التاريخ حوله! وذلك بصورة ربما توصف بالمدافعة أو المرافعة العلمية.

ولعل أكثر الشبهات والتشويهات في التاريخ هي من فعل الشيعة[١]، ومنها على سبيل المثال:

١. زعم تهديد عمر بن الخطاب لفاطمة بحرق بيتها بسبب امتناع علي عن بيعة أبي بكر ﷺ أجمعين، وهدم بيتها، وضربها وكسر ضلعها وإسقاط جنينها. وهذه القصة باطلة لا تثبت.

٢. في قضية التحكيم بين علي ومعاوية: القصة المزعومة الشائعة أن عمرو بن العاص خدع أبا موسى الأشعري في خلع علي، وأنه رفض خلع معاوية رضي الله عن الجميع. وهذه الحادثة باطلة كذلك، لم تأت إلا من روايات باطلة مكذوبة.

من أبرز صور تشويه التاريخ الإسلامي العمل على ترسيخ أنَّ تاريخ الخلفاء الراشدين هو التاريخ الإسلامي الوحيد الذي يمكن أن تعتز به الأمة المسلمة! بل اختزل بعضهم التاريخ الناصع بزمن أبي بكر وعمر ﷺ فقط وما سوى هذا فهو تاريخ استبدادي دموي أسود باستثناء خلافة عمر بن عبد العزيز رحمه الله!!

مواجهة التشويه بمنهجية النقد التاريخي:

تميَّزت أمة الإسلام عن غيرها من الأمم بتوثيق تاريخها وتراثها بقواعد وضوابط تجاه معرفة صحيح الخبر من ضعيفه

(١) ينظر كتاب: أثر التشيّع على الروايات التاريخية في القرن الأول الهجري، د. عبد العزيز محمد نور ولي، والمراجع في الحاشية السابقة للرد على هذه الروايات.

الصفحة السابقة | الفهرس | الصفحة التالية

في متون الأخبار أو الروايات التاريخية حتى أشاد بهذه المنهجية العلمية المتميزة كثير من مفكري الغرب وأساتذته، ومن ذلك قول مارجوليوث: «ولكن بالرغم من أن نظرية الإسناد سببت متاعب لا نهاية لها أحيانًا، بسبب الأبحاث التي ينبغي القيام بها لتوثيق كل راوٍ، وإِلفِهم وضعَ الأحاديث وتقليدَها أحيانًا في سهولة، لا يمكنُ الشك في قيمتها (يعنى نظرية الإسناد) في ضمان الصحة، والمسلمون على حق في فخرهم بعلم الحديث»[1].

ومع هذا فليست الكتابة هنا عن علم الحديث الذي حسمته منهجية المُحدِّثين في نقد السند والمتن في العصور الأولى للإسلام؛ حيث كان تدوين السنة النبوية بمعايير للرواة والأسانيد لا يتطرَّق إليها الشك. لكن الكتابة هنا عن تطبيق منهجية التصحيح للروايات التاريخية ولكتب التاريخ بمنهجية علمية تعتمد على التوثيق للرواة؛ حيث إن السَند والرواة منهجية علمية للمؤرخين في العصور الأولى، ويمكن تطبيق علم الجرح والتعديل في الرواة والروايات خاصةً القرون الثلاثة الأولى تقريبًا. وقد أجاد علماء الإسلام بمؤلفات تطرح منهجية علمية إضافية بطُرق نقدٍ أخرى مُتعددة لتمحيص الأخبار التاريخية، لا سيما أن التاريخ الإسلامي الذي تعرض للتشويه المتعمد بحاجة ماسة إلى هذا النقد والتمحيص.

> «المسلمون على حق في فخرهم بعلم الحديث»
>
> المستشرق الإنجليزي مارجوليوث

ومن غرائب مُثيري الشبهات على الروايات الحديثية والتاريخية المسندة بالرواة والأسانيد الموثقة خاصة من

(١) دراسات عن المؤرخين العرب، للمستشرق مارجوليوث، ترجمة حسين نصار، ص(٢٩-٣٠).

أصحاب حملات التشكيك والتشويه والأهواء، أنهم في الوقت الذي يؤسسون علومًا ونظريات في الفلسفة وعلوم الاجتماع والأخلاق والطبيعة وعلم النفس على نقولات يونانيةٍ قبل الميلاد وبعده عن أرسطو وأفلاطون دون سند تاريخي تراهم في الوقت ذاته يشككون بصحة المسند من الروايات الإسلامية! بل إن علوم أرسطو وأفلاطون تُعدُّ نصوصًا مقدسة لديهم!

ومن الكتب العلمية التي وَرَدَ فيها عن هذا الفن من النقد العلمي لمُتون الروايات التاريخية ما ذكره عالم الاجتماع والتاريخ ابن خلدون رحمه الله عن (علم العمران) وأنه من الوسائل المثلى لمعرفةِ حقيقة الأخبار والروايات وصحتها من ضعفها، ولأهمية مفردات هذه الوسائل تم إيراد النص مع طوله وذلك بقوله: «يحتاج صاحب هذا الفن [المؤرخ] إلى العلم بقواعد السياسة وطبائع الموجودات، واختلاف الأمم والبقاع والأعصار في السِّير والأخلاق والعوائد والنِحل والمذاهب وسائر الأحوال، والإحاطة بالحاضر من ذلك، ومماثلة ما بينه وبين الغائب من الوفاق، أو بون ما بينهما من الخلاف، وتعليل المتفق منها والمختلف، والقيام على أصول الدول والملل ومبادئ ظهورها وأسباب حدوثها ودواعي كونها وأحوال القائمين بها وأخبارهم، حتى يكون مستوعبًا لأسباب كلِ خبر، وحينئذٍ يعرض خبر المنقول على ما عنده من القواعد والأصول، فإن وافقها وجرى على مقتضاها كان صحيحًا، وإلا زيَّفه واستغنى عنه»[1]، وحُق لابن خلدون بهذا القول وغيره أن يكون من مؤسسي علم الاجتماع في الإسلام، ومن رواد كتابة التاريخ بالجمع بين الخَبرِ ونقده مع الدرس والعبرة من التاريخ.

بل إن ابن خلدون كَتَبَ بصورةٍ أوضح عن المهتمين إضافةً إلى أبرز الأخطاء التي لحقت بالتاريخ وكتابته، وذلك بصورة

(١) مقدمة ابن خلدون، ص (٣٧).

المُنكِر والمتحسِّر على هذه التجاوزات، وذلك بقوله: «وما استكبر القدماء علم التاريخ إلا لذلك [التزييف]، حتى انتحله [اهتم فيه] الطبري والبخاري وابن إسحاق مِن قَبْلِهما، وأمثالهم من علماء الأمة، وقد ذهل الكثير عن هذا السر فيه، حتى صار انتحاله [الكتابة فيه] مَجْهلة، واستخفَّ العوامُّ ومن لا رسوخ له في المعارف مطالعته وحمله، والخوض فيه والتطفل عليه، فاختلط المرعي بالهَمَل، واللباب بالقشر، والصادق بالكاذب، وإلى الله عاقبة الأمور»[1].

من غرائب مُثيري الشبهات على الروايات الحديثية والتاريخية المسندة بالرواة والأسانيد الموثَّقة: أنهم يؤسسون علومًا ونظريات في الفلسفة وعلوم الاجتماع والأخلاق والطبيعة وعلم النفس على نقولات يونانيةٍ قبل الميلاد وبعده عن أرسطو وأفلاطون دون سند تاريخي، وفي الوقت ذاته يشككون بصحة المسند من الروايات الإسلامية!

كتب مُهمّة في المجال:

وحول تحقيق هذه المنهجية العلمية جاءت كتبٌ كثيرة توضِّحُ وتبيِّنُ وتصحِّح وتضعِّف، وبمنهجية هذا النقد التاريخي وتمحيص الروايات برزت كثير من الكتابات المبكرة تاريخيًا، وأسهمت في تصحيح المرويات التاريخية عن الدولة الأموية وغيرها، ومن أمثلة الكتب التي أبرزت مكانة الصحابة وتصدت لتوضيح الفتن وكشفها: كتاب (العواصم من القواصم) لأبي

(١) ينظر: المرجع السابق، ص (٣٧).

بكر بن العربي رحمه الله، وكتاب (منهاج السنة النبوية) لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

وعن هذه المنهجية كذلك في نقد مُتون الأخبار والروايات التاريخية يمكن الاستفادة من البحث المطبوع بعنوان: (أشهر وجوه نقد المَتن عند شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله) للدكتور بدر بن محمد العماش الأستاذ بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية(١).

ومن نماذج الكتابات المعاصرة كذلك حول التحقق من الروايات التاريخية أنموذجًا ومثالاً: كتاب (المرويات التاريخية عند المسلمين - أساليب النقد وظاهرة الوضع فيها) للدكتور خالد كبير علال، وهو من إصدارات مركز البحوث والدراسات بمبرة الآل والأصحاب بالكويت.

وكَتَبَ كثير من الباحثين في التاريخ وعلومه من المتخصصين المتأخرين عن أهمية المنهجية وطُرقها، ومن هؤلاء على سبيل المثال: ما كتبه الدكتور محمد صامل السلمي في كتابه الجامع بعنوان (منهج كتابة التاريخ الإسلامي). وممن كتب بهذه المنهجية العلمية في التمحيص والتفسير للتاريخ والدروس: الدكتور محمد العبدة، ومن أبرز كتبه في هذا الجانب (دروس التاريخ) وكتاب (هل يعيد التاريخ نفسه؟)، وكتاباه عن ابن خلدون بعنوان (نصوص مختارة من مقدمة ابن خلدون) و(مقدمة ابن خلدون)(٢).

وحول الكتب التي أبرزت الروايات الصحيحة للتاريخ خاصةً من الكُتب المُعاصرة عن الدولة الأموية تحديدًا جاء كتاب (التاريخ الإسلامي- العهد الأموي) لمحمود شاكر، وكتاب

(١) المنشور بمجلة جامعة أم القرى للعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج١٧، العدد (٣٣)، ربيع الأول ١٤٢٦هـ.
(٢) اختصرها الدكتور محمد العبدة وقدم لها وعلق عليها.

(الدولة الأموية) ليوسف العش، وكتاب (أطلس تاريخ الدولة الأموية) لسامي المغلوث، وكتاب (تهذيب كتاب البداية والنهاية لابن كثير - العصر الأموي) لمحمد السلمي، وكتاب (تاريخ الدولة الأموية) لمحمد طقوش، وكتاب (الدولة الأموية المفترى عليها: دراسة الشبهات ورد المفتريات) لحمدي شاهين، وكتاب (الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار) للدكتور علي محمد الصلابي، وكتاب (موسوعة التاريخ الإسلامي- العصر الأموي) لصلاح طهبوب، وكتاب (الدولة الأموية ومقوماتها الإيديولوجية والاجتماعية) للدكتورة بثينة بن حسين، وكتاب (الجذور التاريخية للأسرة الأموية) لإحسان صدقي العمد، وكتاب (الدولة الأموية) لمحمد خضري بك، وكتاب (تاريخ الدولة الاموية - دراسة تحليلية) للدكتور الريح حمد النيل، وسلسلة محاضرات صوتية عن التاريخ السياسي للدولة الأموية للدكتور أحمد الدعيج، وغير هذه كثير.

وفي الختام:

لا بد من التذكير بأن من سنن الله القدرية الابتلاء بين المؤمنين والمنافقين من فِرق الضلال وأهل الأهواء والمِلل والنِحل على مر العصور سواءً بوجودهم بعقائدهم الفاسدة أم بأعمال تشويههم للتاريخ، وهذه سُنة كونية قدرية قال الله تعالى عنها: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [هود: ١١٨]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [يونس: ١٩]، كما قال الله سبحانه وتعالى عن هذه الفرق والملل والنحل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩]. والحمد لله على نور القرآن والحق، والله غالبٌ على أمره.

قضايا معاصرة

لماذا لم تتساوَ النساء بالرجال حتى في أكثر الدول تقدّمًا؟

أ. هدى عبد الرحمن النمر

كاتبة ومؤلّفة ومتحدِّثة في الفكر والأدب وعُمران الذات

ميَّز الله بين الذكر والأنثى بفروقاتٍ كثيرةٍ تتجاوز مجرَّد الفرق الشكلي، وبعضَ الوظائف المتبادرة للذهن، وكلما عمد البشر إلى تجاهل هذه الفروقات برزت بصورةٍ جديدةٍ أكثر وضوحًا؛ وفي أكثر المواطن تكريسًا لمبدأ المساواة، وهذه المقالة تأخذنا في جولة على بعض الإحصائيات والأرقام في أكثر الدول تطبيقًا لمبدأ المساواة بين الذكر والأنثى

رغم انفتاح آفاق الفرص ومجالات العمل في الدول الغربية أمام النساء بلا موانع قانونية أو اجتماعية، يظل التفاوت بين الجنسين قائمًا في صورة فجوة Gap بين النسب الرجالية والنسائية على ثلاثة أصعدة: الدخل، والتخصصات العلمية، والتقدم المهني. وباعتبار الحركة النسوية قد حققت تقدماً قياسيًا في الدول الأوروبية، يحسن بنا دراسة ورصد هذه الظاهرة بالإحصاءات والأرقام، مع النظر في أسبابها بين الدّعاوى والشواهد الواقعية:

فجوة الدخل Gender Pay Gap:

منذ أن قامت الحركة النسوية الغربية إلى اليوم، تتصدَّر مسألة تفاوت الأجور لائحة التظلّم الدائب في كتاباتها وأدبياتها، باعتبارها من الأدلة الدامغة على استمرار التمييز الجنسي الفجّ. وبمعاينة بعض الإحصائيات من موقع Eurostat التابع للمفوّضية الأوروبية[1] Euro Commission تظهر الفروق في النسبة المئوية في الأجور للساعة، بين الرجال والنساء، في الوظائف نفسها، على مدى عدة أعوام، وكلها تُظهر استمرار الفجوة إجمالًا وإن بدأت تضيق في بعض الدول الأوروبية دون بعض.

(١) تقرير 2021 - (Gender pay gaps in the European Union - a statistical analysis edition) فجوات الأجور بين الجنسين في الاتحاد الأوروبي -تحليل إحصائي- إصدار ٢٠٢١م، على موقع ec.europa.eu/eurostat.

ففي عام ٢٠١٨م كانت الفجوة بين أجور الرجال والنساء في إيطاليا ٥٪ وفي هولندا ١٤,٨٪، وفي فرنسا ١٥,٥٪، وفي فنلندا ١٦,٣٪، وفي ألمانيا ٢٠,٩٪، والمعدل العام للفجوة في دول الاتحاد الأوروبي ١٤,٨٪، وجميع هذه الأرقام لصالح أجور الرجال. وفي عام ٢٠٢١م بلغت الفجوة في إيطاليا ٥٪ وفي هولندا ١٣,٥٪، وفي فرنسا ١٥,٤٪، وفي فنلندا ١٦,٥٪، وفي ألمانيا ١٧,٦٪، ومعدل الفجوة في دول الاتحاد الأوروبي ١٢,٧٪.

وبنظرة بسيطة على هذه الإحصاءات سنجد الفجوة في أكثر الدول مناداةً بالمساواة بين الجنسين، واستجابةً لمطالب الحركة النسوية، وقد تولّى تقرير المفوضية سرد ما يراه أسبابًا لتلك الفجوة، ومنها[١]:

١. التمثيل الزائد للمرأة في القطاعات ذات الأجور المنخفضة نسبيًّا، مثل الرعاية والصحة والتعليم، وبالتالي تقلّ قيمة عائد الوظائف «عالية التأنيث».

٢. استعداد النساء لقضاء المزيد من الساعات في العمل غير مدفوع الأجر (التطوعي)، بالأخص رعاية الطفل والمنزل، مما يجور على ما يخصصنه من ساعات للعمل المدفوع.

٣. التمييز الفجّ، إذ تتقاضى المرأة أجرًا أقل من الرجل مقابل القيام بعمل متساوٍ أو عمل ذي قيمة متساوية حتى لو كان مبدأ المساواة في الأجر منصوصًا عليه في النظام الأوروبي.

لكن ثمة بعد آخر للصورة الكاملة، يسلِّط الضوء على أسباب تجعل تلك الفجوة مُنصفةً على الحقيقة، بل ويكاد يتعذّر سدّها تمامًا! إذ إنَّ تفاوت أجور العاملين في المهنة نفسها مرتبط

(١) تقرير (The gender pay gap situation in the EU. Eureopean Commission. 2020) حالة الفجوة في الأجور بين الجنسين في الاتحاد الأوروبي. على موقع المفوضية الأوروبية commission.europa.eu.

بعدة عوامل مثل العمر والخبرة والأداء، ويكون جنس الفرد وما يغلب على طبيعة ذلك الجنس من المؤثرات في تلك العوامل. مثلًا، الواقعِ المشهود والإحصاءات الغربية نفسها تفيد أنَّ الرجال عادةً هم من يعملون لساعاتٍ أطول، ويمكن أن يظلُّوا حتى أوقاتٍ متأخرة في العمل أو ربَّما الليلَ كلَّه، ويقلُّ ذلك من النساء في المهنة نفسها بالمقارنة. كذلك الرجال أكثر قابليةً للعمل في وظائف أخطر، وأكثر قابلية للترحال والتنقل، وأقدر على خشونة التحمل لساعات طويلة متصلة نفسيًّا وبدنيًّا.

وعلى هذا، صحيح أنَّ ثمة نساء يتقاضين مثل الرجال أو أكثر في الوظيفة نفسها؛ لأنهنَّ حققن تلك الاعتبارات وغيرها، وتعدادهنَّ اليوم أكثر من ذي قبل بلا ريب، لكنهن مع ذلك يظللن استثناءات في جهة السائد بين النساء، مقارنة بالسائد في جهة الرجال. لذلك يظلُّ الرجال إجمالاً هم المتصدِّرين عندما يكون سياق الكلام على العموم وباعتبار الغالبية لا الاستثناءات.

> **تفاوُت أجور العاملين في المهنة نفسها مرتبط بعدة عوامل مثل العمر والخبرة والأداء، ويكون جنس الفرد وما يغلب على طبيعة ذلك الجنس من المؤثرات في تلك العوامل. فالرجال يعملون لساعاتٍ أطول، وأكثر قابليةً للترحال والتنقل أو العمل في وظائف أخطر، وأقدر على خشونة التحمل لساعات طويلة متصلة نفسيًّا وبدنيًّا**

فجوة التخصص العلمي Gender Major Gap:

وعلى المنوال نفسه، لم تتحقَّق مسألة التسوية بين تناسب الجنسين في مختلف التخصصات العلمية وبالتبع المهنية إلى

الآن، رغم إتاحة الفرص على مصراعيها. مثلاً: بمطالعةٍ عامةٍ لإحصاءات مختلف النقابات العمالية في مختلف المهن، نجد أن ٩٣,٨٪ من عمّال البناء في أمريكا رجال، في مقابل ٦,٢٪ من النساء كما في أحدث إحصائية لقاعدة بيانات Zippia المهنية(١). وكذلك ما يزال الذكور أغلب من يختارون مجالات الهندسة والإنشاءات والطيران الحربي، حتى في الدول الاسكندنافية أكثر الدول الأوروبية في إتاحة الفرص للمساواة بين الجنسين، وفق إحصاءات قاعدة بيانات Statista الألمانية(٢). بينما يظل غالب طلبة كليات العلوم الإنسانية والاجتماعية والفنية من الإناث.

وبالتجوال في دراسات تتبع سرّ غلبة الذكور في مجال تطوير البرامج وتقنيات المعلومات، على كونه مجالاً لا يرتبط بالقدرة العضلية بل الذهنية، ارتكزت الرؤى إجمالاً على سببين اثنين(٣): تحيّز الذكور المهيمنين على التوظيف في هذه المجالات وبالتالي لا تتشجع الإناث على دخول التخصص، أو غَلَبة ميل الإناث للمهن والتخصصات ذات الطابع الاجتماعي وبناء العلاقات لا العمل الفردي مع الآلات والمعادلات الصمّاء.

وفي مقال نشرته مجلة فوربس Forbes الأمريكية لتريسي روسمان التي أسَّست منظمة TechGirlz غير الربحية لتشجيع الفتيات على الانضمام للمجال التقني إجمالاً، تقول تريسي من واقع خبرتها في استبانة آراء الفتيات في مراحل الدراسة

(١) تقرير (CONSTRUCTION WORKER DEMOGRAPHICS AND STATISTICS IN THE US.2023) التركيبة السكانية والإحصائيات لعمال البناء في الولايات المتحدة.٢٠٢٣م، على موقع www.zippia.com.

(٢) موقع قاعدة البيانات الألمانية www.statista.com.

(٣) تقرير (Why Aren't There Many Women in the Tech Industry?)، على موقع www.advantisglobal.com - ٢٠٢٣م. وتقرير Jenny Little بعنوان (Ten years on, why are there still so few women in tech?) بعد مرور عشر سنوات، لماذا لا يزال هناك عدد قليل جدًا من النساء في مجال التكنولوجيا؟ صحيفة الغارديان - ٢٠٢٠م.

ما قبل الجامعية: «لقد أمضيت الكثير من الوقت في البحث لفهم سبب الانخفاض في عدد الفتيات والنساء اللاتي يدخلن هذا المجال. الحقائق واضحة: الفتيات يعتقدن أن وظائف الكمبيوتر مملة، ووسائل الإعلام تصور التقنيين على أنهم مهووسين وغريبي الأطوار Geek/Nerd، والمدارس تقدِّم القليل من دروس البرمجة أو التكنولوجيا، والآباء لا يفهمون تمامًا جميع الخيارات التي توفرها التكنولوجيا للمهن. لقد صار من الواضح بما لا يمكن إنكاره أنَّ مهنة التكنولوجيا لا يتمُّ تقديمها للفتيات بطريقة جذّابة بالنسبة لهن. والحل بسيط: تغيير الطريقة التي يتم بها تقديم الوظائف التكنولوجية وسوف تختار الفتيات متابعة هذه الوظائف»[1]. وتضرب أمثلة لهذا التغيير في تعديل أسماء مناهج البرمجة من «تعلم البرمجة بلغة الجافا» إلى «حل المشكلات بشكل إبداعي في العلوم والهندسة باستخدام الأساليب الحسابية مع بايثون»، ودمج عناصر «المرح» و«الألوان» في العملية التعليمية.

يعبّر التفاوت عن جوهر الفروق الفطرية والخِلقية بين الرجال والنساء، في الميول والاستعدادات والطاقات النفسية والذهنية اللازمة للتحصيل العلمي ثم العمل المهني، مهما حاولوا التنصُّل منها. والفروق ليست عيبًا ولا سُبّة، ولا بد من الإقرار بها واحترام ما تقتضيه بدل معاندته، والتوقف عن تجاهلها والتعتيم عليها ومحاولة طمسها

(١) تقرير Tracey Welson-Rossman بعنوان (The Real Reason Most Women Don't Go Into Tech, According To Women) السبب الحقيقي لعدم دخول معظم النساء مجال التكنولوجيا، وفقًا للنساء، موقع فوربس، Forbes.com – ٢٠١٥م.

التخصص الأكاديمي عام 2020م	فنلندا		السويد	
	عدد الذكور	عدد الإناث	عدد الذكور	عدد الإناث
الهندسة والتصنيع والإنشاءات	768,000	148,000	1,295,000	206,000
تقنية المعلومات والاتصالات	104,000	25,000	142,000	91.000
الصحة والخدمات الصحية	70,000	463,000	176,000	792,000
الإدارة والعلوم الاجتماعية والقانون	193,000	383,000	725,000	462,000

واللافت في هذا التقرير وحده: إثبات فرق طبيعة الاستعداد الذهني عند الإناث بحيث تتطلَّب طريقة عرضٍ مغايرةٍ عن السائد والمقبول لدى أقرانهم من الذكور، الذين يجتذبهم المجال على ما هو عليه. ثم إنَّ إقبال الفتيات على تعلُّم المواد التقنية والاستمتاع بطرق عرضها الجذابة شيء، وإقبالهنَّ على المجال تخصّصًا دراسيًّا ومهنيًّا شيءٍ آخر، وتفاوت النسب بين الجنسين بحيث صارت فجوةً معتبرةً شيءٌ ثالث، وكلٌّ له دلالته.

وكل هذا الرصد يثبت بالدليل العملي أنَّ المسألة ليست في فتح آفاقٍ أو حجبها، وإلا فهذا نتاج اختيارات الأفراد الحرّة، بل في اعتباراتٍ منهاً ما يتعلق بطبائع الجنسين. ولذلك يعبّر هذا التفاوت ضمن ما يعبّر عن جوهر الفروق الفطرية والخِلقية، في الميول والاستعدادات والطاقات النفسية والذهنية اللازمة للتحصيل العلمي ثم العمل المهني، مهما حاول من حاول التنصُّل منها. والفروق ليست عيباً ولا سُبّة، ولا تعني إلا ما تعنيه حرفيًّا فحسب: هي فروق، ولا بد من الإقرار بها واحترام ما تقتضيه بدل معاندته، والتوقف عن تجاهلها والتعتيم عليها في محاولة سقيمة لطمسها.

وفي الجدول أعلاه نماذج منتقاة من إحصاءات من قاعدة بيانات Statista الألمانية، عن نسب الذكور والإناث في بعض التخصصات، في السويد وفنلندا عام ٢٠٢٠.

ويظهر فيها بوضوح تصدر الذكور في مجالات الهندسة والإنشاءات والمعمار وتقنية المعلومات والاتصالات، بينما ترتفع نسب الإناث في مجالات الخدمات الاجتماعية والصحية والإدارة والقانون.

فجوة التقدم المهني Professional Adancement Gap:

لا تقتصر الفجوة بين الجنسين على الصعيد المهني على تفاوت النسب في مختلف الوظائف، بناء على ما سبق بيانه من التفاوت في التخصصات العلمية، بل لفتت الانتباه في العقود الأخيرة ظاهرة قلة تعداد النساء في مناصب قمة الهرم الإداري في مختلف المجالات. مثلاً: في يناير من هذا العام ٢٠٢٣م بلغت نسبة النساء في منصب المدير التنفيذي CEO في أكبر ٥٠٠ شركة في الولايات المتحدة ١٠٪، ثم زادت بعد خمسة أشهر إلى ١٠,٤٪ فحسب، وفق تقرير مجلة فورتشن Fortune الدولية لقضايا المال والأعمال، الصادرة من أمريكا[١].

وفي إحصائية لعام ٢٠١٦ نشرتها «وول ستريت جورنال»[٢]، يظهر تفاقم الفجوة بين نسب الرجال والنساء على طول خط الترقي المهني: الموظف، المدير، مدير المدير، ثم مختلف درجات الإدارة الأعلى فالأعلى. حسب الجدول الآتي:

(١) تقرير بعنوان (Women CEOs run more than 10% of Fortune 500 companies for the first time in history) تدير المديرات التنفيذيات أكثر من ١٠٪ من شركات قائمة فورتشن ٥٠٠ لأول مرة في التاريخ، بقلم (EMMA HINCHLIFFE) مجلة فورتشن، يناير ٢٠٢٣م، fortune.com. وتقرير (Women hold 10.4% of Fortune 500 CEO jobs, a sign that companies are recognizing the value of diverse leadership) تشغل النساء ١٠,٤٪ من وظائف الرؤساء التنفيذيين المدرجة على قائمة فورتشن ٥٠٠، وهي علامة على أن الشركات تدرك قيمة القيادة المتنوعة، بقلم (EMMA HINCHLIFFE) مجلة فورتشن، يناير ٢٠٢٣م، fortune.com .

(٢) تقرير (How Men and Women See the Workplace Differently) كيف يرى الرجال والنساء مكان العمل بشكل مختلف، صحيفة وول ستريت جورنال ٢٠١٦م، graphics. wsj.com.

المستوى الوظيفي	الذكور	الإناث
المستوى الأدنى من الوظائف: 53% من القوى العاملة	54%	46%
مستوى مدير: 28% من القوى العاملة	63%	37%
مدير ذو خبرة Senior: 12% من القوى العاملة	67%	33%
مستوى نائب رئيس VP: 5% من القوى العاملة	71%	29%
نائب رئيس ذو خبرة SVP: 2% من القوى العاملة	76%	24%
الرؤساء في أعلى الهرم الإداري Csuit: 1% من القوى العاملة	81%	19%

وهذه الدراسة تظهر اتساع الفجوة بين نسب الرجال والنساء كلما اتجهنا إلى أعلى الهرم الوظيفي أو الإداري.

ولم يؤثر تقدُّم الزمان على هذه النتيجة؛ حيث بقي تفاقم فجوة النسب ساريًا، ففي إحصائية ٢٠٢٢م وردت في تقرير «النساء في مكان العمل»[(١)]، الصادر مشتركًا من شركة Mckinsey and Company للاستشارات الإدارية (نيويورك) ومبادرة Lean In للتمكين النسائي (كاليفورنيا)، يظهر أنَّ نسب الترقية المهنية النسائية لم تتقدم كثيراً حتى عام ٢٠٢٢م.

انقسمت الدراسات المحلّلة لهذا التفاوت إلى قسمين:

الأول: نظر إلى الظاهرة من منطلق سؤال: لماذا لا يوجد عدد أكبر من النساء في منصب المدير التنفيذي؟ واتجهت إجاباته بأصابع الاتهام إلى «الذكورية» بالأساس. فثقافة العقليات السائدة تتصوَّر مهارات الرياسة والحنكة الإدارية والصلابة العملية وخفّة طاقة السفر والترحال والتنقل في مختلف الأوقات والأطوار ... بوصفها خصائص مُذَكَّرة، وبالتالي يميل أرباب التوظيف تلقائيًّا للنظر في المرشحين الرجال للوظائف العليا، ويوم ينظرون لامرأةٍ تكون فلتةً نادرة، وذات خصائص استثنائية (استرجالية بالتعبير الأدق). ومهما تم تقدير أداء

(١) تقرير (Women in the Workplace) المرأة في مكان العمل، شركة (Mckinsey and company)، ومبادرة (Lean In)، ٢٠٢٣م. womenintheworkplace.com.

النساء العاملات في المجال نفسه وأثبتن زيادة كفاءتهن على أقرانهنّ من الرجال لا يؤخذن بالجِدِّية نفسها عند حلول موسم الترقيات، إذ يخشى أرباب العمل مَن تأثر الأداء المهني والعائد الربحي للمؤسسة المترتبين على ما يعرض للنساء مما يضطرهن للاستقالة أو طلب إجازات مطولة، عند بدء أسرة أو وقت الحمل أو الإرضاع أو رعاية طفل، ناهيك عن طور الدورة الشهرية وآثاره الفيزيائية والنفسية المعلومة. ولهذا ترى أدبيات هذا القسم أن المجتمع يعاقب المرأة على خصائصها الطبيعية، في حين أنها يجب أن تحصل على حقها كالرجل طالما أنها تخرج مثله للعمل، بل وفي ظل ظروف لا يَخبُر هو مثلها (كما وقت الحمل أو العادة الشهرية)[1].

الثاني: خلُص إلى أنَّ السبب كامنٌ في الجواب عن سؤال: لماذا لا تزيد أعداد أكبر من النساء التواجد في منصب المدير التنفيذي أو المناصب القيادية بشكل عام؟ وأشهر من تصدّر لجوابه دراسة في عام ٢٠١٥، أعدتها ثلاث أستاذات من جامعة هارفارد، نشرتها دورية «الأكاديمية الوطنية للعلوم في الولايات المتحدة الأمريكية»، بعنوان: «بالمقارنة مع الرجال، ترى النساء أن التقدم المهني ممكن التحقيق على قدم المساواة، ولكنَّهنَّ أقل

(١) تقرير (Why women must work harder to move up? proof verus potential problem) لماذا يجب على النساء العمل بجدية أكبر للارتقاء؟ الدليل مقابل المشكلة المحتملة، ٢٠٢٢م، إعداد Katie Bishop موقع BBC. وتقرير (Forget the ambition gap, it›s the ‘ambition penalty’ that›s really holding women back at work) انسوا فجوة الطموح، إنها «عقوبة الطموح» التي تعيق النساء عن العمل، بقلم Stefanie O›Connell Rodriguez، مجلة غلامور، Glamour Magazine UK، عام ٢٠٢٣م. glamourmagazine.co.uk. وتقرير (Women less inclined to self-promote than men, even for a job) النساء أقل ميلاً للترويج لأنفسهن من الرجال، حتى بالنسبة للوظيفة، بقلم Christina Pazzanese، صحيفة هارفارد The Harvard Gazette، ٢٠٢٠م.

رغبة فيه»[١]. وعلى صدورها من سنوات، تظل خلاصات تلك الدراسة من الفاعلية والصلاحية بحيث يتجدَّد الاستشهاد بها في مختلف الدوريات الحديثة[٢].

وفيما يلي مقتطفات توضح الجواب الذي خلصت له في تحليل دوافع النساء من وجهة نظرهن بناء على عيّنات الدراسة:

«على الرغم من أن الأبحاث قدمت أدلة على أن التحيّز والتمييز ضد المرأة يساهمان في هذا التفاوت بين الجنسين في التقدم الوظيفي، إلا أن المؤلفين لهذا البحث اكتشفوا تفسيرًا من زاوية نظر أخرى: وهو أن الرجال والنساء ينظرون إلى التقدم المهني بشكل مختلف، ويؤثر منظورهم هذا على قراراتهم بالترقي في السُّلَّم الوظيفي... انخفاض معدلات النساء في الأدوار القيادية قد يرجع جزئيًّا إلى الأولويات الأخرى التي تعتني بها النساء، وليس فقط العوائق في مكان العمل التي تحول دون حصولهن على تلك الأدوار. أجرى المؤلفون تسع دراسات لفحص كيفية اختلاف الرجال والنساء في تصوراتهم للمناصب ذات السلطة العالية»ا.هـ.

وسلّطت الدراسة الضوء على ثلاثة مكامن افتراق بين النساء والرجال، تجعل النساء يبتعدن طواعية عن الترقي المهني:

» خشية التعرض لسلبيات الضغط والقلق والتوتر التي تصاحب المناصب الرفيعة ومعارك «الحفاظ على الكرسي».

(١) تقرير (Compared to men, women view professional advancement as equally attainable, but less desirable) بالمقارنة مع الرجال، ترى النساء أن التقدم المهني أمر ممكن تحقيقه على قدم المساواة، ولكنهن أقل رغبة، إعداد Francesca Gino, و Caroline Ashley Wilmuth, و Alison Wood Brooks، ضمن فعاليات الأكاديمية الوطنية للعلوم في الولايات المتحدة الأمريكية (PNAS) ٢٠١٥م. www.pnas.org.

(٢) تقرير (Gender differences in private and public goal setting) الفروق بين الجنسين في تحديد الأهداف الخاصة والعامة، إعداد Jordi Brandts، وآخرين، مجلة السلوك الاقتصادي والتنظيم Journal of Economic Behavior & Organization، doi.org، العدد ١٩٢،٢٠٢١م.

» التمتع بالسلطة إحدى الداوفع الرئيسية للتقدم المهني عمومًا، لكن وُجد أن النساء أقل اهتمامًا من الرجال باتخاذ السلطة والرياسة هدفًا تسعى وراءه.

» أولوية اهتمامات أخرى في الحياة تحول دون الاستعداد لـ «تكريس» النفس لساعات عمل أطول، فالمرأة لا تستمع بهذا التكريس كالرجل (الطامح للترقي على المدى) ولا تستمد منه القيمة نفسها. وقد وُجد أنه حتى إذا كان الترقي لن يتطلَّب جهدًا إضافيًا من المهام أو ساعات العمل، فلا تزال النساء أقل احتمالاً إحصائيًا من الرجال، بواقع ٥ للنساء مقابل ٦ للرجال على مقياس اهتمام من ٧ نقاط.

وبهذا «تكشف هذه النتائج أنَّ الرجال والنساء لديهم تصوُّراتٌ مختلفة عما ستكون عليه تجربة شغل منصب رفيع المستوى، وهو ما يمكن أن يُساعد في تفسير استمرار التفاوُت بين الجنسين في قمة التسلسل الهرمي التنظيمي رغم الآفاق والفرص، بما لا علاقة له بالتحيز وإنما بطبائع الاستعداد والرغبة في السلطة كنتيجة طبيعية للتطوير المهني». انتهى من التقرير.

«الرجال والنساء لديهم تصوُّراتٌ مختلفة عما ستكون عليه تجربة شغل منصب رفيع المستوى، وهو ما يمكن أن يُساعِد في تفسير استمرار التفاوُت بين الجنسين في قمة التسلسل الهرمي التنظيمي رغم الآفاق والفرص، بما لا علاقة له بالتحيز وإنما بطبائع الاستعداد والرغبة في السلطة كنتيجة طبيعية للتطوير المهني»

تقرير ضمن فعاليات الأكاديمية الوطنية للعلوم في الولايات المتحدة الأمريكية (PNAS) ٢٠١٥م

وفي الختام:

الحاصل من كل هذه السجالات أن فجوة التفاوت في الصدارة المهنية يظل قائمًا حتى في الدول المناصرة للمساواة والتمكين النسائي واسع النطاق. وكل هذا الرصد لأسباب تلك الفجوة واستمرارها يثبت بالدليل العملي أن المسألة ليست في فتح آفاق أو حجبها، وإلا فهذا نتاج اختيارات الأفراد الحرّة دون ضغط مجتمعي أو تقييد عرفي. وإنما المسألة في اعتبارات لها صلة بطبائع الخِلقة الفيزيائية والاستعدادات النفسية، المختلفة بين الرجال والنساء. ولذلك يعبّر هذا التفاوت ضمن ما يعبّر عن جوهر فروق فطرية وخِلقية، في الميول والاستعدادات والطاقات النفسية والذهنية اللازمة للتحصيل العلمي ثم العمل المهني، وليست محض «خرافات» أو «قوالب صناعية» خلقتها الأعراف السائدة أو التحيز الذكوري، كما يحاجج المنظور النسوي ومؤيدوه.

والفروق ليست عيبًا ولا سُبّة، ولا تعني إلا ما تعنيه حرفيًّا فحسب: هي فروق، ولا بد من الإقرار بها واحترام ما تقتضيه بدل معاندته، والتوقف عن تجاهلها والتعتيم عليها في محاولة سقيمة لطمسها أو التنصّل منها.

هدايات من قصة آدم عليه السلام

د. عمر النشيواتي
طبيب وكاتب مهتم بالقرآن وعلومه

من أعظم الهدايات التي قدمها القرآن الكريم للبشرية: الإجابة عن الأسئلة المصيرية التي حيرت البشرية ولا زالت، فمن أين جئنا؟ ولماذا وجدنا؟ وإلى أين المصير؟ وغيرها من الأسئلة، ولم يكتف القرآن بأسلوب واحد بل نوع الأساليب وعددها، ومنها ما جاء في قصة آدم من الإشارات والهدايات، وهذه جولة تدبرية معها

للقصة عمومًا والقصة القرآنية خصوصًا -بأسلوبها الفريدِ، وعرضها الجذاب- دَوْرٌ عظيم في ترسيخ العقيدة الصحيحة، وتثبيت المبادئ، وزرع القِيَم، وطَبْع العقل والفِكر والنفس على صورة الفطرة السليمة التي فطر اللهُ الناسَ عليها، وذلك بما ترسمه القصةُ مِن صورةٍ في النفس، وتتركُ مِن آثار يشعر بها أو لا يشعر بها مَن يعيشها ويتأثر بها، وبما ترسله القصة مِن رسائل ظاهرة وباطنة.

تكررت قصةُ آدم في كتاب الله تعالى مرات عدة؛ في سُوَر مكية كالإسراء والكهف وطه والأعراف، وفي سور مدنية كالبقرة، وذلك في مراحل ومشاهد مختلفة، ولكلٍّ إيرادٍ وتَكرارِ رسالتُه وهدفُه الذي يُعْلَم بتتبع سياقه ودلالاته، وهنا سنُجملُ الحديثَ عن أهمِّ المشاهد التي جاء فيها ذِكْرُ آدم -عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام- بلا خوضٍ في كثيرٍ من التفاصيل التي وردت في كتب التفسير، بل سنقصر الحديث على إيراد بعض ما يظهر فيه منفعةٌ وثمرة علمية أو عملية، متلمسين من ذلك الهدايات الكلية والجزئية التفصيلية[1].

وسيكون الحديث حول مشاهد أربعة رئيسية:

١. الاستخلاف وخلق آدم.
٢. تعليم آدم، والأمر بالسجود له، واستكبار إبليس.

(١) ينظر: مقال (الهدايات القرآنية للمتدبِّرين) في العدد العشرين من المجلة لمزيد بيان وتفصيل لهذه المصطلحات.

الصفحة السابقة | الفهرس | الصفحة التالية

٣. إسكان آدم وزوجه الجنة، وعصيانهم بالأكل من الشجرة.

٤. التوبة، والهبوط إلى الأرض.

للقصة القرآنية دَوْرٌ عظيم في ترسيخ العقيدة الصحيحة، وتثبيت المبادئ، وزرع القِيَم، وطَبْع العقل والفِكر والنفس على صورة الفطرة السليمة التي فطر اللهُ الناسَ عليها، وذلك بما ترسمه القصةُ مِن صورةٍ في النفس، وتتركُ مِن آثار، وبما ترسله القصة مِن رسائل ظاهرة وباطنة

الاستخلاف وخلق أدم:

بدأت قصة آدم في سورة البقرة والأعراف بذكر خلق الأرض والسماوات السبع، والذي أُتبع بذكر الاستخلاف وخلق آدم، قال الله: ﴿هُوَ الَّذِى خَلَقَ لَكُمْ مَا فِى الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩]، وقال: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِى الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف: ١٠]، ثم جاء ذِكر النبأ العظيم الذي فيه اختصامُ الملأ الأعلى[١] في لحظة حاسمة من تاريخ الكون، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] أي: بشرًا يخلف بعضهم بعضًا للقيام بعمارة الأرض على طاعته، أو خَلِيفَة عَنِ الله تعالى في إقامَةِ شَرْعِهِ، ودَلائِلِ تَوْحِيدِهِ، والحُكْم في خَلْقِهِ، (قَولُ ابنِ مسعودٍ ومُجاهِدٍ) أو أنَّهُ خَلَفُ مَن سَلَفَ في الأَرضِ قَبْلَهُ، (قَولُ ابنِ عَباسٍ والحسنِ)، فقالت الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠] وهو سؤال استرشاد

(١) تفسير ابن كثير (٨٠/٧) وما بعدها.

واستفهام عن الحكمة، وليس على وجه الاعتراض أو الإنكار منهم، ولا على وَجهِ الحسدِ لِبَنِي آدمَ[١] وذلك بحسب ظنِّهم أن الخليفة المجعول في الأرض سيحدث منه ذلك[٢]، أو أنهم علموا بإعلام الله إياهم بذلك[٣]، أو أن الجنَّ أَفسدوا في الأرض قبل بني آدم، فقالت الملائكة ذلك، فَقاسُوا هؤلاء بأولئك[٤].

ثم خلق الله جل جلاله آدمَ بيده ﴿بَشَرًا مِنْ طِينٍ﴾ [ص: ٧١] أي: مادَّته مِن طين، ثم خلق زوجَه، ومنهما يتناسلُ البشرُ إلى يوم الدين: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [النساء: ١].

» في سبق ذكر خلق الأرض وإتباعها بذكر خلق آدم وذريته بيان لعظيم منزلة ومكانة آدم وذريته في الأرض والدور الخاص المنوط بهم فيها، فقد اقتضت حكمة الله أن يُسَلَّم لهذا الكائن الجديد في الوجود زمامُ هذه الأرض، وتُطلَقَ فيها يدَه، ويُوكَل إليه كشفُ ما في هذه الأرض مِن قوى وطاقات، وكنوز وخامات، ليُسخِّر هذا كُلَّه -بإذن الله- في المهَمة الضخمة التي وكلها الله إليه.

» خلق الله آدم وذريته للأرض فقال: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٣٠]، ومع ذلك أسكنهم الجنة، وابتلاهم بالشجرة، وأوقعهم فيها، ثم أخرجهم من الجنة: في ذلك -والله أعلم- تربية وإعداد لآدم وذريته لطبيعة الحياة في الأرض، وفيه إيقاظ للقوى المدخورة فيهم للتعرف على طبائعهم، كما أن فيه تدريبًا على كيفية تَلَقِّي الغواية، وتذوق العاقبة، وتجرع الندامة.

(١) تفسير ابن كثير (٢١٦/١).
(٢) تفسير السعدي، ص (٤٨).
(٣) التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي (٧٩/١).
(٤) ابن جرير عن ابن عباس.

- فيه بيان لأهمية معرفة قَدْر الأشياء ومنزلتها وتاريخ نشأتها ومراحل تطورها، فجهل الناس بقدرهم وتاريخ نشأتهم وتكريم الله لهم سبب في ضلالهم وانحرافهم، حتى إنهم سجدوا للأصنام!

- فيه بيان لأهمية تقديم الغريب والجديد، وتعريف مَن حوله به وبوظيفته، وذلك أدعى لقبوله والاستئناس به، وعدم الاستغراب منه.

- فيه جواز سؤال من أُمرَ بعمل عن الحكمة من أمره، كما سألت الملائكة ربها.

- فيه تأكيد على قَبول مبدأ الحوار للتعليم والدعوة والإقناع، حتى مع تيقن المحاوَر بصواب ما عنده، ولو كان مع تباين المراتب والمنازل، اذ إن منفعة الحوار ليست في استبانة الحقيقة للطرفين عند اختلاط الأمر فحسب، بل هو أسلوب تعليم وتوجيه وتوثيق وتأكيد للعلم، كما تَبَيَّن للملائكة في هذه القصة.

- في قياس الملائكة للخليفة على الجن وخوفهم من أن يكون مثلهم: إثباتٌ لمشروعية القياس في تقدير الأشياء واستشرافها والتنبؤ بها، مع عدم الأخذ به أحيانًا لمانع أو لظهور الفارق، كما أن فيه خطورة أن يكونَ الانطباع الأوَّلي حُكمًا نهائيًّا يحول بين المرء والمعرفة الحقة والتحقيق.

اقتضت حكمة الله أن يُسَلَّم لهذا الكائن الجديد في الوجود زمام هذه الأرض، وتطلق فيها يدهُ، ويوكل إليه كشف ما في هذه الأرض مِن قوى وطاقات، وكنوز وخامات، ليُسخِّر هذا كُلَّه -بإذن الله- في المهمة الضخمة التي وكلها الله إليه

تعليم آدم، والأمر بالسجود له، واستكبار إبليس:

في المشهد التالي يقص الحقُّ سبحانه أمرَ تعليم آدم وتكريمه: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١]، علمه سبحانَه الأسماء كلها التي يتعارف بها الناس ذواتها وأفعالها -كما قال ابن عباس-، وذلك لإقامة البيِّنة على عِلم الله الذي لا يعلمه الملائكة، حيث قال لهم: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠]، ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾ [البقرة: ٣١] أي: عرض تلك المسميات أو الأسماء على الملائكة، ﴿فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٣١] أي: في أن بني آدم يُفسدون في الأرض ويسفكون الدماء(١)، وهنا أقرَّ الملائكة واعترفوا بعلم الله وحكمته، وتعليمه إياهم ما لا يعلمون ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢]، فقال الله: ﴿يَاآدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾ [البقرة: ٣٣] تبين للملائكة فضلُ آدم عليهم؛ وحكمةُ الباري وعلمُه في استخلاف هذا الخليفة(٢).

فلمَّا تَمَّ خلقُ آدم أمر الله الملائكة بالسجود لآدم، إكرامًا له وتعظيمًا؛ وعبودية لله تعالى، فقال: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٩]، فوطَّن الملائكةُ الكرامُ أنفسهم على ذلك، فامتثلوا أمر الله، وبادروا كلهم بالسجود، ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى﴾ امتنع عن السجود؛ واستكبر عن أمر الله وعلى آدم، قال: ﴿أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ مدعيًا أنه خير مِن آدم، حيث إنه خُلِق من تراب وخُلِق هو من نار.

» في تعليم الله آدم الأسماء، ثم طلبه من الملائكة أن يخبروا بها واعترافهم بالجهل بها ليتبين لهم فضل آدم عليهم: نموذجٌ لأهمية ضرب المثل الحي والدليل الحسي والعملي

(١) ابن عباس وغيره.

(٢) تفسير السعدي، ص (٤٨) بتصرف.

لإقامة الدليل على صِحَّة الدعوى، وأن ذلك أبلغ في الحجة وأصدق في البيان، وأعظم في التأثير.

» فيه بيان لمنة الله العظيمة على الإنسان بتعليمه الأسماء والمسميات، ومنحه القدرة على تسمية الأشخاص والأشياء بأسماء يجعلها رموزًا لتلك الأشخاص والأشياء المحسوسة، وهي قدرة ذات قيمة كبرى في حياة الإنسان على الأرض، ندرك قيمتها حين نتصور الصعوبة الكبرى لو لم يوهب الإنسان القدرة على الرمز بالأسماء للمسميات، والمشقة في التفاهم والتعامل، حين يحتاج كل فرد لكي يتفاهم مع الآخرين على شيء أن يستحضر هذا الشيء بذاته أمامهم ليتفاهموا بشأنه.

» تثبت هذه الرواية القرآنية المحكمة لخلق آدم من تراب، ثم خلق زوجته، وتكاثر الخلق منهما: أصل النشأة الأولى التي خلق اللهُ البشر عليها، وتدحض كل نظرية تدعي غير ذلك الأصل والتكريم مِن خرافات الجاهلية المعاصرة الداروينية وغيرها.

» في أمر الله الملائكةَ بالسجود لآدم واستجابتهم: بيانُ أن لُبَّ العبودية وجوهرها في الاستجابة المطلقة لأمر الله بلا سؤالٍ ولا طلب تعليل، وهو مما يراد تعليمه لآدم وذريته، كما أنَّ فيه تعريضًا بذمِّ بني إسرائيل في عدم التسليم والانقياد لأمر الله، حيث انتقلت النبوة منهم الى أمة الإسلام المستجيبة المطيعة المستسلمة.

» فيه أن العبد إذا خَفِيَت عليه حكمةُ الله في بعض المخلوقات والمأمورات فالواجب عليه التسليم واتهام عقله، والإقرار لله بالحكمة، كما أن فيه بيانًا لخطورة معارضة النص الصريح بالرأي كما رد إبليس أمر اللّه الصريح له بالسجود، وجادل في تنفيذ أمره، وهو أمرٌ قطعي الثبوت قطعي

هدايات كلية من قصة آدم عليه السلام

- إثبات وجود الباري سبحانه، وسعة علمه، وكمال قدرته وحكمته، وتمام ملكه لعباده
- إثبات الوحي، وتقرير نبوة محمد عليه الصلاة والسلام، وأن القرآن كلام الله
- التعريف بالملائكة والجن والإنسان وطبيعة العلاقة بينهم في ثلاثة نماذج من خلق الله
- الحكمة من خلق الكون وتسخيره للإنسان
- تكريم الله للإنسان بالعلم، واختصاصه بالاختيار، وابتلائه على ذلك
- بيان أن الدنيا دار ابتلاء وامتحان وأنها لا تخلو من شرور ومنغصات

الدلالة، فاستحق اللعنة والكفر والطرد من رحمة الله، وكذلك سيكون حال مَن شابهه!

» فيه دلالة على أن الله فضَّل آدم بالعلم، وأسجد له ملائكته، تكريمًا له وللعلم الذي حمله، فالله عرّف الملائكة فضل آدم بالعلم؛ وهو أفضل صفة تكون في العبد.

» فيه إثبات لفضل العالم على العابد: فآدم إنما ظهر في صورة العالم ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾، والملائكة إنما ظَنُّوا أنهم أفضل بعبادتهم وتسبيحهم ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾، فأمر الله أهل العبادة أن يسجدوا سجودَ تعظيمٍ لا عبادة لِمَن فُضِّل عليهم بالعلم.

» في تفضيل إبليس نفسَه على آدم قياسًا على تفضيله النارَ على الطين دليلٌ على جهله وخبثه ومخادعته لنفسه، كما أن قياسه يعارض أمر اللّه له بالسجود، والقياس إذا عارض النص فإنه قياس باطل[1].

(١) تفسير السعدي الأعراف، ص (٢٨٤).

الصفحة السابقة الفهرس الصفحة التالية

» في استكبار إبليس عن السجود لآدم وقوله: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾: دلالة على خطر الكبر والعجب والغرور، فهو سبب طرده وحلول اللعنة عليه، كما أن فيه بيانًا لخطورة الحسد والعداوة بالباطل، وأنه ربما كان سببًا للإصرار على الباطل والتمادي فيه، حتى ينتقم الحاسد من محسوده، ولو على حساب نفسه وخسارة دينه.

» في مفاضلة إبليس بينه وبين آدم بالنظر إلى مادة خلقه: بيان لخطورة الطبقية والعنصرية، وأنها سبب للعَمَى عن الحق.

» فيه بيان لأهمية إصلاح البواطن والقلوب، وخطر خبيئة السوء وفساد القلب، وألّا يغتر المرء بنفسه حتى لو كان بين الصالحين والعابدين كما كان إبليس مع الملائكة، فإن تلك الخبيئة ستظهر يومًا على اللسان والجوارح!.

» في إخراج إبليس من الجنة لاستكباره عن السجود لآدم ومعصيته لأمر ربه: «أصلٌ في ثبوت الحق لأهل المحلّة أن يُخرِجوا من محلتهم مَن يُخشى مِن سيرته فشو الفساد بينهم»[1].

» فيه إثبات لعداوة الشيطان الأزلية لبني آدم، وأن العاقل مَن اتخذه عدوًّا، وأدام استشعار تلك العداوة، واستزاد في المعرفة بخطواته ووسائله وجنوده وطرقه في الإغواء واستعان بالله عليه، وهو مع ذلك يُوقِن أن كيده يزول ويضمحل أمام إيمان العبد بربه: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل: ٩٩].

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٨-ب/٤٤).

للشيطان عداوةٌ أزليةٌ لبني آدم، والعاقل مَن اتخذه عدوًّا، وأدام استشعار تلك العداوة، واستزاد في المعرفة بخطواته ووسائله وجنوده وطرقه في الإغواء واستعان بالله عليه، وهو مع ذلك يُوقِن أن كيده يزول ويضمحل أمام إيمان العبد بربه

إسكان آدم وزوجه الجنة، وعصيانهما بالأكل من الشجرة:

لما خلق الله آدم وفضّله أتم نعمته عليه بأن خلق منه زوجة ليسكن إليها، ويستأنس بها، وأمره بسكنى الجنة، وقال له: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى﴾ [طه: ١١٨-١١٩]، وأباح له الأكل منها ﴿رَغَدًا﴾ أي: واسعًا هنيئًا، ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ أي: من أصناف الثمار والفواكه، واستثنى من ذلك شجرةً، فقال لهما: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ وهو نوع من أنواع شجر الجنة؛ الله أعلم بها، وإنما نهاهما عنها امتحانًا وابتلاءً أو لحكمة غير معلومة لنا(١). لكن عدوهما ما زال يوسوس لهما، ويزين لهما تناول ما نهيا عنه، ﴿وَقَاسَمَهُمَا﴾ أي: أقسم لهما بالله ﴿إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ حتى أزلهما، أي: حملهما على الزَّلل بتزيينه، فاغَتَرَّا به وأطاعاه، ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا﴾ [طه: ١٢١] أي: عوراتهما بعد أن كانت مستورة(٢)، وحينما بدت سوآتهما ﴿طَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ [طه: ١٢١] أي: شرعا ينزعان من ورق الجنة يجعلانه على سوآتهما، مع خلو الجنة من غيرهما.

» في تكريم الله لآدم المطيع وزوجه ورفعهم وإسكانهم الجنة على مرأى ومسمع من إبليس: مزيد إذلال لإبليس، كما أن

(١) تفسير السعدي، ص (٤٩).
(٢) المرجع السابق، ص (٢٨٥).

في طرد إبليس الذي استكبر عن أمر الله بالسجود لآدم وإخراجه من الجنة وإنزاله إلى الأرض على مرأى ومسمع من آدم وزوجه: مزيد إكرام لهما، وتوضيح لهما ولذريتهما لمعيار الرفع والخفض، والقرب والبُعد في ميزان الحق سبحانه.

» في ذكر أن زلل آدم وزوجه إنما كان بوسوسة الشيطان ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ [الأعراف: ٢٠]: بيان للطريقة التي يملك بها الشيطانُ ابنَ آدم، وهي طريقة أهل الإفساد: تلميحٌ وتزيينٌ وإغراء للبشر من خلال محبوباتهم وشهواتهم، حتى يوقعوهم في شراكهم، والموفق مَن يستبين تلك الوساوس فيحذرها ولا ينقاد لها.

» فيه التحذير من مكر الشيطان، وعدم الاغترار به، فهذا آدم يشهد أحداث إباء الشيطان واستكباره عن أمر ربه له بالسجود، وتعاليه على آدم، وإشهار العداوة له، ويشهد طرده من رحمة الله، ومع ذلك وقع في شراكه، وأكل من الشجرة بوسوسته! لذا فإن معرفتنا بعداوة الشيطان شيء، واتخاذه عدوًّا والحذر من وساوسه والنجاة منها أمر آخر مختلف.

» في نهي آدم عن الشجرة وغرس حبها في نفسه ليمتحن فيها: دليل على أن الامتحان أعظم ما يكون عند وجود رغبة فيه، وبغير محظور مرغوب فيه لا تنبت الإرادة، ولا يتميز الإنسان المريد من الحيوان المسوق، ولا يمتحن صبر الإنسان على الوفاء بالعهد والتقيد بالشرط، فالإرادة هي مفرق الطريق، والذين يستمتعون بلا إرادة هم من عالم البهيمة، ولو بَدَوا في شكل الآدميين.

» فيه أن حب الاستطلاع فطرةٌ في بني آدم، وأن كل ممنوع مرغوب! ومع ذلك فالمؤمن مأمور بتهذيب نفسه وضبطها

وعدم التماهي معها، وتحكيم الشرع والعقل، لا الهوى والرغبة.

» قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ [البقرة: ٣٥] أي لا تَأكُلا مِنها، وإنما عَلَّقَ النهيَ بالقُربانِ منها مُبالَغَةً في تَحريمِ الأكلِ، ووُجُوبِ الاجتنابِ عنهُ، لأنَ القُربَ مِن الشيءِ مُقْتَضَى الأُلفَةِ، والأُلفةُ داعيةٌ للمحبةِ، ومحبةُ الشيءِ تُعمِي وتُصِمُّ، فلا يرى قَبيحًا، ولا يَسمعُ نَهْيًا فَيَقَعُ، والسببُ الداعي إلى الشرِّ مَنهيٌّ عنهُ، كما أن السببَ المُوَصِّلَ إلى الخيرِ مَأمورٌ بِهِ[1]، ففيه تأكيد على قاعدة سد الذرائع، وهي قاعدة عظيمة، مَن أخذ بها سلم ونجا، ومن اقترب من المحرم يوشك أن يقع فيه.

» في أكل آدم من الشجرة المحرمة المستثناة وعدم اكتفائه بالمباح: أن المباح الرغد الواسع يغيب عن عين المنقاد لوسوسة الشيطان، فلا يبصره مع كثرته، ليقترف من المحرم النادر المستثنى، لذا لا يزال الشيطان بابن آدم يصرفه عن كثير من المباح الواسع الوفير ﴿رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾، ويُوقعه فيما استثنى الله له من الحرام ﴿هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ .. حتى يُهلكه!

» في كشف الذنب لسوءة آدم وزوجه ﴿فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا﴾: إشارة الى أن الذنب يُعَرِّي الروح والنفس، ويكشف السوءة، كما أن التقوى ستر للروح وزينة ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦]، وما أحوجَنا لأن نستشعر دائمًا أن الوقوع في الذنب تعرٍّ وكشفٌ للسوءة، وأن التقوى ستر وزينة.

» في قوله: ﴿لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا﴾ [الأعراف: ٢٠]: أن من أعظم طرق الشيطان في إفساد بني آدم وفطرتهم هو سعيه في نشر التعري ونزع اللباس عنهم كما هو الحال اليوم!

(١) محاسن التأويل، للقاسمي (٢٩٢/١).

» في مسارعة آدم وزوجه إلى التستر وعدم بقائهما بلا لباس أو مشيهما في الجنة عراة مع خلو الجنة من غيرهما كما هو ظاهر الآية والله أعلم ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ [طه: ١٢١]: إشارة الى أن الفطرة في بني آدم هي الستر لا التعري، وأن كل تطلع للتعري وكشف للسوءة ففيه مخالفة للفطرة البشرية!

» في عتاب الله لآدم وزوجه في قوله: ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا﴾ [الأعراف: ٢٢]: دليلٌ على مشروعية العتاب بعد الإنذار والبيان والإعذار، كما أن فيه مضاعفة العتاب للعاصي إن اتبع قول عدوه، فيعتب عليه معصيته لربه واتباع عدوه.

» وفيه أن الخطأ والنسيان هي جِبِلّةٌ في آدم وذريته، إنما العبرة بحال العبد بعد تقصيره وسرعة فيئته من عدمها.

الامتحان أعظم ما يكون عند وجود الرغبة، وبغير محظور مرغوب فيه لا تنبت الإرادة، ولا يُمتحن صبر الإنسان على الوفاء بالعهد والتقيُّد بالشرط، فالإرادة هي مفرق الطريق، والذين يستمتعون بلا إرادة هم من عالم البهيمة، ولو بَدَوا في شكل الآدميين

التوبة والهبوط إلى الأرض:

بعد أن أعلم الله آدم وزوجه بذنبهما، منّ الله عليهما بأن هداهما إلى التوبة ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ [البقرة: ٣٧] أي: تلقف وتلقن، وألهمه الله[١]، فما كان منهما الا أن اعترفا بالذنب فقالا: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ

(١) تفسير السعدي، ص (٥٠).

الصفحة السابقة | الفهرس | الصفحة التالية

الْخَاسِرِينَ﴾، فغفر اللّه لهما ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾، هذا وإبليس مستمر على طغيانه، غير مقلع عن عصيانه، وهنا قال الله لآدم وحواء وإبليس: ﴿قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ [الأعراف: ٢٤] أي: اهبطوا مِن الجنة إلى الأرض، وسيكون بعضُكم عدوًّا لبعض، ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ أي: مسكن وقرار، ﴿وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ انقضاء آجالكم، ثم تنتقلون منها للدار التي خلقتم لها، وخلقت لكم.

» في هبوط آدم وزوجه مِن الجنة بسبب ذنبهم: دليلٌ على أن المعصية سببٌ للهوان والهبوط، وأنه ما نزلت عقوبة إلا بذنب يقترفه ابن ادم، ولا ترفع إلا بتوبة.

» في قوله ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ أن «مَن أشبهَ آدمَ بالاعتراف وسؤال المغفرة والندم والإقلاع -إذا صدرت منه الذنوب- اجتباه ربه وهداه، ومن أشبه إبليس -إذا صدر منه الذنب، لا يزال يزداد من المعاصي- فإنه لا يزداد من الله إلا بعدًا»[1].

» في قوله: ﴿وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ وهو انقضاء الآجال: «أن مدة هذه الحياة مؤقتة عارضة، ليست مسكنًا حقيقيًّا، وإنما هي معبر يُتَزَوَّد منها لتلك الدار، ولا تعمر للاستقرار»[2].

» في قولهم: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]: فيه دليل على اشتراك آدم وحواء في المسؤولية والذنب، ومشروعية توبة الرجل مع أهله إذا وقعا في الذنب.

» في القصة مقابلة بين حال المستكبر المتمادي الذي انتهى به الإصرار على المعصية إلى اللعن والطرد والخلود في النار، وبين حال الذي أدرك ذنبَه واستفاق وأناب؛ ففاز بقبول التوبة والرضوان.

(١) المرجع السابق، ص (٢٨٥).
(٢) المرجع السابق، ص (٤٩).

الفهرس

» في قوله: ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [البقرة: ٣٦] بيان لأزلية معركة المراغمة والمدافعة بين بني البشر والشياطين، وأنها بدأت منذ أُهبط آدم وحواء إلى الأرض، وستستمر في كل لحظة وإلى قيام الساعة، فقد انكشف ميدان المعركة الخالدة بين إبليس وخليفة الخير في الأرض، التي ينتصر فيها الخير بمقدار ما يستعصم الإنسان بإرادته وعهده مع ربه، وينتصر فيها الشر بمقدار ما يستسلم الإنسان لشهوته ويبعد عن ربه.

> **بنزول آدم وحواء إلى الأرض انكشف ميدان المعركة الخالدة بين إبليس وخليفة الخير في الأرض، التي ينتصر فيها الخير بمقدار ما يستعصم الإنسان بإرادته وعهده مع ربه، وينتصر فيها الشر بمقدار ما يستسلم الإنسان لشهوته ويبعد عن ربه**

الهدايات الكلية من القصة:

كانت تلك بعض الهدايات الجزئية التي أفادتها قصة آدم نتبعها ببعض الهدايات الكلية إتمامًا للفائدة؛ ففي القصة إثبات وجود الباري سبحانه، وسبقه لكل شيء، وسعة علمه بما كان وما سيكون، وكمال قدرته وحكمته، وتمام ملكه لعباده وقهره لهم، وفيها إثبات الوحي، وتقرير نبوة محمد عليه الصلاة والسلام، وأن القرآن كلام الله، وذلك أن في القصة أحداثًا وقعت في الجنة وقبل أن تبدأ الحياة على الأرض، فإخبار النبي بها دليل على أنها وحي من الله: ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِنْ يُوحَى إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [ص: ٦٧-٧٠][1].

(١) القصص القرآني، لصلاح الخالدي، ص (٨٦).

«استقرَّت حكمته سبحانه أنَّ السعادة والنعيم والراحة لا يُوصَل إليها إلا على جسر المشقة والتعب، ولا يُدخل إليها إلا من باب المكاره والصبر وتحمُّل المشاقّ، ولذلك حفَّ الجنة بالمكاره والنار بالشهوات»

ابن القيم

كما كان فيها تعريف بالملائكة والجن والإنسان وطبيعة العلاقة بينهم في ثلاثة نماذج من خلق الله: نموذج الطاعة المطلقة والتسليم العميق المتمثل في الملائكة، ونموذج العصيان المطلق والاستكبار المقيت المتمثل في إبليس، ونموذج الطبيعة البشرية المزدوجة في خصائصها وصفاتها المشتملة على الخير والشر.

وفيها بيان الحكمة من خلق الكون وتسخيره للإنسان، وتكريم الله للإنسان بالعلم، واختصاصه بالاختيار، وابتلائه على ذلك وأن الدنيا دار ابتلاء وامتحان وأنها لا تخلو من شرور ومنغصات، قال ابن القيم: «اعلم أنه قد استقرت حكمته سبحانه أن السعادة والنعيم والراحة لا يُوصَل إليها إلا على جسر المشقة والتعب، ولا يدخل إليها إلا من باب المكاره والصبر وتحمل المشاق، ولذلك حفَّ الجنة بالمكاره والنار بالشهوات، ولذلك أخرج صفيه آدم من الجنة وقد خلقها له، واقتضت حكمته أن لا يدخلها دخول استقرار إلا بعد التعب والنصب، فما أخرجه منها إلا ليدخله إليها أتم دخول ... وقد سبقت الحكمة الإلهية أن المكاره أسباب اللذات والخيرات»[1]. والحمد لله رب العالمين.

(١) شفاء العليل (٢/٢٢٥).

تأصيل

تعدُّد الزوجات.. وأثرهُ في حماية المجتمع

د. علي مدني رضوان
دكتوراه في الشريعة الإسلامية، جامعة طنطا

الفهرس

الاستخلاف في الأرض غاية من الغايات الكبرى التي وجد الإنسان لأجلها على الأرض، والاستخلاف يتطلب التناسل والتكاثر، وحتى لا يتحوَّل التناسل إلى فوضى حفَّته الشرائع السماوية بقيودٍ وقوانين تضبطه وتحفظ المجتمع من أخطاره، لكي تُلبَّى الحاجات الغريزية بصورةٍ آمنةٍ ومعتدلة بما يَصلح للسواد الأعظم من البشر، ومن ذلك سنة تعدُّد الزوجات التي جاءت بها الشرائع السماوية وأقرَّها وأطَّرَها الإسلام بالعدل والمودة والرحمة

مقدمة:

شرع الإسلام الحنيف الكثير من السنن الحسنة التي تعالج مختلف حاجات البشر، وتحقيقًا لغايات ومقاصد قد تظهر للإنسان وقد تخفى عليه، ومن ذلك إباحة تعدُّد الزوجات بأكثر من واحدة، ولم يترك أمر التعدُّد مُرسلاً بغير ضابط أو قيد، بل وضع الضوابط والشروط التي تحكم القيام بهذه الشعيرة بما يضمن القيام بها بأفضل طريقة وفائدة لجميع الأطراف.

مشروعية التعدد:

المقصود بالتعدد: التزوج بأكثر من زوجة في وقت واحد.

وقد أباح القرآن الكريم التعدُّد بقوله تعالى: ﴿فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ [النساء: ٣]. قال ابن كثير: «انكحوا ما شئتم من النساء سواهن، إن شاء أحدكم ثنتين وإن شاء ثلاثًا وإن شاء أربعًا»(١).

وجاء في السنة النبوية أن غيلان بن سلمة الثقفي أسلم وله عشر نسوة في الجاهلية، فأسلمن معه، (فأمره النبي ﷺ أن يتخيَّر أربعًا منهن)(٢). وحصل مثل ذلك للحارث بن قيس(٣).

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/٢٠٩).
(٢) أخرجه الترمذي (١١٢٨)، وابن ماجه (١٩٥٣)، وأحمد (٥٠٢٧).
(٣) أخرجه أبو داود (٢٢٤١)، وابن ماجه (١٩٥٢).

ووجه الدلالة من هذين الحديثين: أنَّ النبي ﷺ منع من الزيادة على الأربع، مما يدل على مشروعية ما هو دون ذلك.

أما الإجماع: فقد أجمع العلماء على مشروعية زواج الرجل من أربع نسوة، ولا يجوز له الزيادة على ذلك(١).

أحكام التعدد:

يخضع التعدُّد للأحكام التكليفية الخمسة؛ فيكون التعدُّد حرامًا أو مكروهًا إذا كان يُفوِّت مقصود النكاح، أو ليس فيه عدل بين الزوجات، أو كان فيه ضياع لمن يعول، ويصير واجبًا إذا لم تكفه زوجته وخشي على نفسه الوقوع في الحرام، فيتزوَّج ما يكفيه. ويكونُ مندوبًا إذا كان يرغب بالنكاح لكنه يستطيع أن يملك نفسه.

ضوابط التعدد:

التعدد له شرطان أساسيان، هما:

١- العدل، ٢- القدرة (المالية والجسدية).

ويقصد بالعدل هنا: العدل الظاهري في الأمور المادية ونحوها؛ من مأكل ومشرب وملبس ومبيت وسفر ونفقة، وقد حذَّر الإسلام من الجَور في أمر التعدُّد، فعن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (إذا كان عند الرجل امرأتان فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشقه ساقط)(٢).

أما العدل الباطني من ميل القلب بالحب أو الكُره أو الجماع فلا يتعيَّن وجوبُ العدل فيه، وهذا يتبين من قول النبي ﷺ: (اللهم هذه قسمتي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك)(٣).

---

(١) نقل الإجماع على ذلك الماوردي، وابن حزم، وابن عبد البر، والبغوي، وابن العربي، وابن هبيرة، وابنُ رشد الحفيد، وابنُ قدامة المقدسي، والقرطبي، وابن حجر، والعيني رحمهم الله جميعًا، ينظر بحث: تعدد الزوجات، للدكتور خالد بن محمود الجهني، على موقع الألوكة.

(٢) أخرجه أبو داود (٢١٣٣) والترمذي (١١٤١) واللفظ له.

(٣) أخرجه أبو داود (٢١٣٤) والترمذي (١١٤٠) وابن ماجه (١٩٧١).

فالعدل الذي اشترط الإسلام تطبيقه في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ [النساء: ٣] هو العدل الظاهري وهو لا يتعارض مع العدل المذكور في قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ [النساء: ١٢٩]. قال الحافظ ابن حجر: «فإذا وفى لكل واحدة منهن كسوتها ونفقتها والإيواء إليها: لم يضرَّه ما زاد على ذلك من ميل قلب أو تبرع بتحفة»[١].

أما القدرة فللفقهاء في تحديد معنى حديث: (من استطاع منكم الباءة فليتزوج)[٢] قولان يرجعان إلى معنى واحد؛ أصحهما: أنَّ المراد معناها اللغوي وهو (الجماع) فيكون تقديره: من استطاع منكم الجماع بقدرته على مؤنة النكاح فليتزوج، ومن لا يستطيع الجماع لعجزه عن مؤنته فعليه بالصوم ليدفع شهوته، أما القول الثاني: يرى أن المراد هنا بالباءة مؤن النكاح؛ سمِّيت باسم ما يُلازمها. وتقديره: من استطاع منكم مؤن النكاح فليتزوج ومن لم يستطعها فليَصُم ليدفع شهوته؛ لأن العاجز عن الجماع لا يحتاج إلى الصوم لدفع الشهوة فوجب تأويل الباءة على المؤن[٣].

> لوسائل الإعلام الموجَّهة دور كبير في التنفير من فكرة التعدد وتشويهها، خاصة عن طريق المسلسلات التي يشاهدها قطاع كبير من النساء وفيها تشعر المرأة المتزوِّج عليها بالاحتقار المجتمعي والمهانة النفسية وضروب كثيرة من القهر

(١) فتح الباري (٣٩١/٩).
(٢) أخرجه البخاري (٥٠٦٥) ومسلم (١٤٠٠).
(٣) شرح النووي على مسلم ببعض التصرف (١٧٣/٩).

نفور النساء من التعدد:

الجمهرة من نساء الأرض على اختلاف مشاربهن لا يحببن سماع موضوع التعدد، وهذا الموضوع يثير حفيظتهن، ولذلك أسباب عديدة، منها على سبيل المثال:

- طبيعة المرأة وما جبلت عليه من الغيرة، والعاطفة التي ترفض أن يشاركها نساء أخريات في زوجها.
- قصص التعدد الفاشلة، حيث غياب العدل وفقدان حسن العشرة، وظلم الأبناء، وما يشاهدن ويسمعن في سياقات منفرة لصراع الزوجات وتربُّصِ بعضهنَّ ببعض.
- وسائل الإعلام الموجَّهة في التنفير من فكرة التعدد وتشويهها، خاصة عن طريق المسلسلات التي يشاهدها قطاع كبير من النساء وفيها تشعر المرأة المتزوَّج عليها بالاحتقار المجتمعي والمهانة النفسية وضروب كثيرة من القهر.
- تحريض الصديقات والجارات والقريبات للمرأة الأولى ضد زوجها بشيء من التربُّص أحيانًا والمكر أحيانًا أخرى.
- تعرُّض بعض النساء -وخاصة المتعلمات منهن- لتأثيرات الحركات النسوية وتحرير المرأة، فيصبحن لا يُردن الانصياع لقبول التعدد معتقدات أنه لا يعدو أن يكون تفسيرات واجتهادات لبشر يخطئ ويصيب، أو غير آبهات بهذا الحكم الشرعي.
- حملة الأفكار العلمانية أو المتأثرين بها من الرجال والنساء.

شبهات في طريق التعدد ودحضها:

الشبهة الأولى: (استحالة تحقيق العدل):

يُثير الذين يرفضون التعدُّد شبهةً مفادُها أن الله تعالى قد اشترط العدل بين الزوجات، وأن العدل غيرُ مقدور عليه بدليل

قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ [النساء: ١٢٩]، وللردِّ على هذه الشبهة نفرق بين نوعين من العدل: عدل ممكن ومقدور عليه، وعدل غير ممكن وغير مقدور عليه.

والتعدد مطلوب فيه النوع الأول (العدل الممكن والمقدور عليه) وهذا لا يأتي إلا في الأمور المادية من (مأكل وملبس ومشرب ومبيت وغير ذلك من المطالب الحياتية المعروفة)، أما العدل الذى أشارت إليه الآية الكريمة فهو العدل غير الممكن وهو ما لم نطالَب به، وإلا كان الخطاب في أمر التعدُّد لغوًا لا فائدة فيه، أو مصادرةً على المطلوب، وهو ما يُنزَّه عنه كلام رب العالمين، لأن العدل غير المقدور عليه هو الميل القلبي والمحبة العاطفية والنفسية، والقلوب بيد مقلبها سبحانه؛ لهذا كان ﷺ يقول: (اللهم هذا قَسْمي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك)[١].

والمعنى كما قال ابن عباس ومجاهد والحسن البصري: «أي: لن تستطِيعوا أن تساووا بين النساء من جميع الوجوه فإنه إن حصل القَسم الصوري ليلة وليلة فلا بد من التفاوت في المحبة والشهوة والجماع، بدليل أن النبي ﷺ كان يحب عائشة رضي الله عنها أكثر من غيرها»[٢].

وهنا لفتة لطيفة ساقها صاحب فتح البيان يقول: «يظن بعض الناس أن هذه الآية تمنع تعدد الزوجات، وفاتَه أن آخرها صريح في الإباحة حيث تقول (فلا تميلوا كل الميل) فهذا لا يقال لصاحب الزوجة الواحدة»[٣].

(١) سبق تخريجه، وقال ابن حجر فى بلوغ المرام: قواه الأربعة وصححه ابن حبان والحاكم، ولكن رجح الترمذي إرساله.
(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٤٣٠/٢).
(٣) فتح البيان، لصديق حسن خان (٢٥٧/٣).

والتوفيق بين آيتي سورة النساء -الآية التي في صدر السورة، والآية التي نحن بصددها الآن- أن كلاً من الآيتين لها مضمون وسياق مختلف، وكما قال الشيخ أبو زهرة: «هذه الآية موضوعها نفسي، والآية التي في صدر السورة موضوعها العدالة الظاهرة، وقد وضَّح هذا المعنى النبي ﷺ في الحديث الذي رويناه، وهو عجزه عليه الصلاة والسلام عن العدالة النفسية، وعلى فرض أن التوفيق غير ممكن إن سايرنا تلك المدارك المحدودة، فإن المتأخر ينسخ المتقدم، والمتأخر هو هذه الآية التي نتكلم في معناها»[1].

الشبهة الثانية: (شبهة حدوث النزاع بين الضرائر وتشريد الأطفال):

قد يعترض البعض بأن التعدُّد يُحدث الشقاق والنزاع بين الضرائر مما يفوِّت الغاية التي شرع لأجلها، وهنا نقول: إن النزاع والشقاق ربما لا يكفُّ ولا ينتهي حتى في حالة الزوجة الواحدة، اختلافًا مع الزوج، أو عراكًا مع الأم، أو مع الأخت، فهل سيؤدي بنا ذلك إلى إلغاء الحياة الزوجية بسبب هذه المشاكل والنزاعات؟! وهذا الضرر المتوقع هو كما يقال: (ضرر مغمور في خير كثير).

ثم إن فقه الموازنات في الشريعة يؤصل لقبول ضررٍ محتملٍ في درجة أقلَّ للزوجة الأولى، في مقابل فوائد تشريعية ومجتمعية تفوق المصالح الشخصية الضيقة والنزوات الفردية لدى بعض الزوجات. يقول الشيخ أبو زهرة رحمه الله: «إنه إذا كان (التعدُّدُ) ضارًّا بالتي يتزوج عليها فإن منفعته مؤكَّدةٌ للزوجة الجديدة؛ لأنه لا يقبل الزواج من متزوِّجٍ إلا امرأةٌ مضطرة للقبول، والضرر الذي يلحق بالترك أكثر من الضرر

(١) زهرة التفاسير، لأبي زهرة، ص (١٨٨٥) (بتصرف يسير).

الذي يلحق الزوجة الأولى بإدخال أخرى عليها، والضرر الكثير يُدفع بالضرر القليل»[1].

الشبهة الثالثة: (شبهة حبس المرأة على عيوب الرجل):

قد تتساءل بعض النساء بقولها: إنكم تبيحون للرجل أن يعدد على زوجته بثانية وثالثة ورابعة إذا كانت عقيمًا لا تلد أو مريضةً مرضًا يفوِّتُ عليه مقصود النكاح، فماذا عليها لو تزوَّجته فوجدته (عِنِّيْنًا وعاجزًا) عن القيام بالوطء أليس في ذلك تفويت لمقصود النكاح أيضًا؟

فنقول لها: حَفظ الإسلام حق المرأة في هذه الحال؛ فأباح للمرأة أن تطلب الفراق للضرر إن شاءت، وفق تشريع دقيق بعدَ ثُبوت هذه العلة وإعطاء فرصةٍ لعلاجها، ذكر ذلك ابنَ عبدالبر بقوله: «ولا أعلم بين الصحابة خلافًا في أن العِنِّيْنَ يؤجَّل سنةً من يوم يُرفع إلى السلطان»[2]. بل ذكر البعض أن القاضي إذا ثبت لديه عجزه المؤكد فسخ العقد ولا ينتظر مدة العام، والأمر أيسر في وقتنا الحاضر؛ حيث التقدُّم في العلوم والمختبرات الطبية بما يتبين معه الأمر في وقت قصير دونما حاجة لانتظار المدة التي قررها الفقهاء في السابق، وأجمع الفقهاء الأربعة على صحة التفريق بين الزوجين للعيوب، على اختلاف بينهم في الشروط الموجبة لذلك.

مع أن حاجة المرأة إلى العاطفة والإيناس أشدُّ من حاجتها للدافع الجنسي؛ فالمرأة تحتاج للكلمة اللطيفة واللمسة الحانية والنظرة الشفيقة والعبارة اللطيفة واللمسة الودودة والثناء المتجدد، فتشعر هي بالحماية والأمان وهذا كله يستطيع الرجل السوي أن يقدمه لزوجاته بدلاً من آلام الوحدة ونظرات المجتمع القاتلة.

(١) تنظيم الإسلام للمجتمع، لأبي زهرة، ص (٧٦).
(٢) الاستذكار، لابن عبدالبر (١٩٣/٦).

> التعدُّد بحدِّ ذاته ليس فيه ظلم للمرأة. والظلم قد يحصل من صاحب الزوجة الواحدة، ويمكن أن نقول: إنَّ التعدد لصالح المرأة؛ فهي التي تختار: أن تتزوج متزوجًا أو عازبًا أو لا تتزوج، بينما الرجل ليس له إلا أن يتزوج من امرأة غير متزوجة

الشبهة الرابعة: (شبهة وجود خلاف فقهي):

يتبع بعض الناس في معارضة التعدد أقوالاً لبعض المنتسبين للعلم، تذمُّه وتزري به، ويتذرَّعون بأن هذه الأقوال تعني وجودَ خلافٍ بين أهل العلم في أمر التعدُّد، مستندين في ذلك إلى قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ [النساء: ١٢٩]، قال الزمخشري: «قيل: إنَّ العدل بينهنَّ أمرٌ صعبٌ بالغ من الصعوبة حدًا يوهم أنه غير مستطاع؛ لأنه يجب أن يسوى بينهن في القسمة والنفقة والتعهد والنظر والإقبال والممالحة والمفاكهة والمؤانسة وغيرها مما لا يكاد الحصر يأتي من ورائه، فهو كالخارج من حد الاستطاعة»(١). فكأن هذا القول اعتبر العدل المطلوب في أمر التعدد هو العدل في الأمور الظاهرية والباطنية على السواء.

وللشيخ محمد رشيد رضا رأي قريب من هذا؛ إذ يقول: «إن البيت الذي فيه زوجتان لزوج واحد لا تستقيم له حال، ولا يقوم فيه نظام، بل يتعاون الرجل مع زوجاته على إفساد البيت، كأن كلَّ واحدٍ منهم عدوٌّ للآخر، ثم يجيء الأولاد بعضهم لبعض عدو؛ فمفسدة تعدُّد الزوجات تنتقل من الأفراد إلى البيوت ومن البيوت إلى الأمة»(٢).

(١) تفسير الكشاف، للزمخشري (٥٧٢/١).
(٢) تفسير المنار، للشيخ محمد رشيد رضا (٢٨٦/٤).

بل يذهب محمد عبده لأبعد من هذا فيقول: «إن في تعدد الزوجات احتقارًا شديدًا للمرأة؛ لأنك لا تجد امرأةً ترضى أن تُشاركها في زوجها امرأةٌ أخرى، كما أنك لا تجد رجلاً يقبل أن يشاركه غيرُهُ في محبَّة امرأته»[1].

وهذه الآراء غير معتبرة بل لا ينظر إليها؛ لأنها مُخالفة لنص القرآن الكريم، ولسنة النبي ﷺ في فعله وفي إقراره لأصحابه الكرام رضي الله عنهم، ومخالفة لإجماع المسلمين المنعقد على جواز الزواج من اثنتين وثلاث وأربع نساء للرجل الواحد.

لو استقرأنا تاريخ البشرية فسنجد أن الرؤساء والعظماء من الرجال كانوا دومًا معددين، بينما لن نجد في النساء اللاتي تعدَّد الرجال في حياتهن في ذات الوقت إلا الساقطات وفاقدات الشرف، فهل يقبل عاقلٌ مثل هذه المكانة؟!

الشبهة الخامسة: (شبهة ظلم المرأة):

فيزعمون أن التعدد فيه ظلمٌ للمرأة في جَعلِ غيرها يُشاركها زوجَها، وأن فيه إهدارًا لكرامتها بالزواج عليها، وجرحًا لأحاسيسها ومشاعرها.

وهذا كلام عارٍ عن الصحة؛ فالتعدُّد من تشريع الله تعالى لعباده، وليس من تشريع الرجال ولا اختيارهم، والله تعالى منزَّهٌ عن الظلم! ثم إنه حينما شرع التعدد لم يجعله وفق هوى الرجل أو رغباته؛ بل جعل له شروطًا وضوابط ألزم الرجل بها مما يحفظ مكانة الزوجة الأولى.

(١) الأعمال الكاملة، لمحمد عبده (٨٣/٢).

أما زعم أنه إهدار كرامة المرأة فهذا منطق معكوس؛ فالزوجة الثانية امرأة كذلك، فكيف يكون فيه إهدار للكرامة؟

بل إن التعدد يجعل المرأة الثانية ربة بيت، وصاحبة زوج وولد، مصونةً مكرمةً، بدلاً من أن تكون عانسًا أو أيِّمًا لا زوج لها ولا بيت ولا ولد، فأيهما يحقق العدل أكثر؟

ثم إن أي امرأة يمكن أن تكون هي الزوجة الثانية، أو الثالثة، فهي قد تكون الأسبق أو الألحق، فلا ميزة لإحداهن على الأخرى، والزوجة الثانية هي التي تختار: أن تتزوج متزوجًا أو عازبًا أو لا تتزوج، فالتعدُّد خيارٌ لها إن أرادت الدخول فيه، فأيُّ ظلمٍ لها في ذلك أو إهانة؟

الشبهة السادسة: (شبهة مساواة المرأة بالرجال فى التعدد):

يتساءل بعضهم: لماذا لا تقبلون التعدد للمرأة؟ أوَ ليست كالرجال تحبُّ ما يُحبُّون؟

بدايةً: المرأة بطبيعتها النفسية والعاطفية ليست كالرجل، فلا تستطيع ولا تصلح حياتها بهكذا تعدد.

ثم إن مشاركة عدة رجال بها يضيع الأنساب؛ فلما كانت المرأة مستودعًا ومستقرًّا لتكوين النسل الإنساني؛ فلا يصح شرعًا ولا عقلاً ولا طبعًا ولا عرفًا أن تنتقل المرأة من بيت إلى بيت ومن عاطفة إلى عاطفة أخرى لتقضي شهوتها حيث لن ندري لمن ننسب الولد، فتقع الجاهلية الأولى التي ذمها القرآن الكريم فتضيع المسؤولية وتتفرق الجهود وتتعطل الحياة.

قال ابن القيم: «فذلك من كمال حكمة الرب تعالى وإحسانه ورحمته بخلقه ورعاية مصالحهم، ويتعالى سبحانه عن خلاف ذلك، وينزَّه شرعُه أن يأتي بغير هذا، ولو أُبيح للمرأة أن تكون عند زوجين فأكثر لفسد العالم وضاعت الأنساب وقَتَل

الأزواج بعضهم بعضًا، وعظمت البلية واشتدت الفتنة، وقامت سوق الحرب على ساق، وكيف يستقيم حال امرأة فيها شركاء متشاكسون؟ وكيف يستقيم حال الشركاء فيها؟»[1].

ولو استقرأنا تاريخ البشرية فلن نجد في النساء اللاتي تعدَّد الرجال في حياتهن في ذات الوقت إلا الساقطات وفاقدات الشرف، فهل يقبل عاقلٌ مثل هذه المكانة؟!

> **الأمم تقوى بوفرة أفرادها وزيادة الأيدي العاملة والمنتجة فيها، فيحدث فيها وفرة ونمو في اقتصادها، فضلاً عن القوة العسكرية التي تملكها -ومن أهم أسسها وفرة أعداد المقاتلين-. والزواج هو ما يعين على تحقيق هذا الهدف**

المبررات المشروعة للتعدد:

أولاً: في تعدد الزوجات سبب لتكثير سواد الأمة:

الأمم تقوى بوفرة أفرادها وزيادة الأيدي العاملة والمنتجة فيها، فيحدث فيها وفرة ونمو في اقتصادها، فضلاً عن القوة العسكرية التي تملكها والتي من أسسها وفرة أعداد المقاتلين.

ومن الجدير بالذكر أن الصين عمدت إلى سياسة تحديد النسل الإجبارية التي تكتفي فيها الأسرة الواحدة بطفل واحد عام ١٩٧٩م، لكنها أدركت خطأ هذه السياسة بعد أن أخذت تتحوَّل على نحوٍ متسارعٍ إلى مجتمع مسنٍّ، فعادت الحكومة

(١) إعلام الموقعين، لابن القيم (٣/٣٢٥).

المبررات المشروعة للتعدد

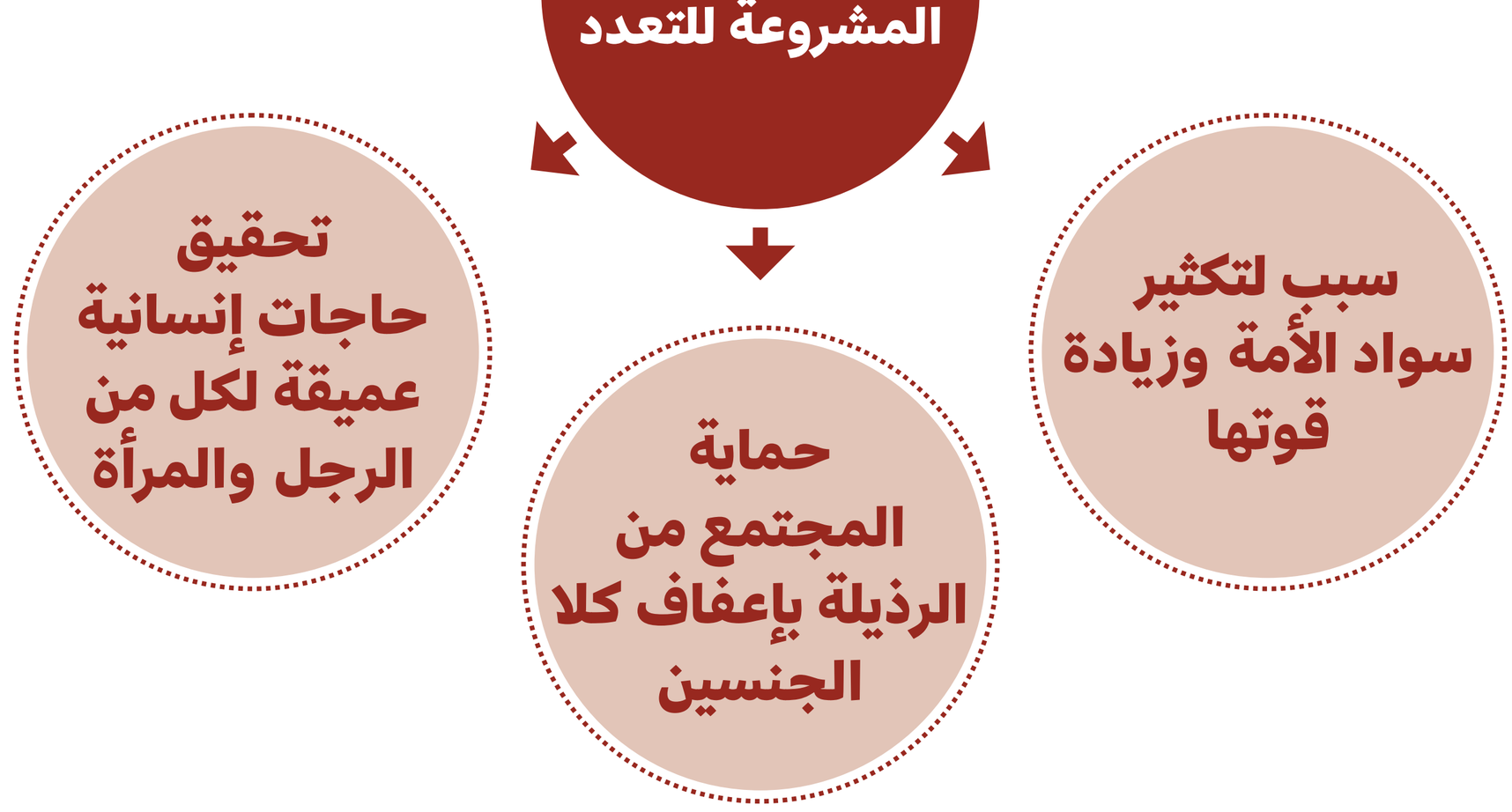

عام ٢٠١٥م لإنهاء سياسة الطفل الواحد، وحث الشعب على الإنجاب لعلاج شيخوخة الدولة وتناقص السكان[١].

ومن جهة أخرى تعمد الدول الغربية إلى استقبال ملايين المهاجرين سنويًا لتعويض النقص الحاصل لديهم الناتج عن قلة الإنجاب لديهم لأسباب كثيرة، كتحديد النسل، والعزوف عن الزواج، والوقوع في الفواحش وأنواع الرذائل.

والزواج هو ما يعين على تحقيق هذا الهدف، وهذه المكاثرة التي حث عليها النبي ﷺ بدت واضحة الفائدة على مستوى الأمم اليوم والتنافس الحضاري بينها.

ثانيًا: حماية المجتمع من الرذيلة:

أعداد النساء في الأصل مقاربة لأعداد الرجال، لكن يحدث في الحروب أن يفنى عددٌ كبير من الرجال، فتطغى كفة النساء

(١) مقالة (لماذا باتت الصين تشجع على إنجاب المزيد من الأطفال؟) موقع BBC.

على الرجال، كما حصل في ألمانيا على أعقاب الحرب العالمية الثانية، حيث كانت نسبة النساء تبلغ ٥٣٪ من إجمالي السكان، بزيادة على الرجال تقترب من ٣ ملايين نسمة(١).

كما أن عدد الرجال يمكن أن ينقص لأسباب أخرى؛ فهم الذين يخوضون غمار الحياة في معاركها المتجدِّدة والمتنوعة، ومع الكوارث وحوادث السير والأعمال الصناعية وغيرها؛ تكون احتمالية الوفاة والفقد بينهم أكثر منها في النساء بسبب تصدِّيهم للمسؤوليات التي تتطلب المخاطرة بالقوة البدنية؛ فيختلُّ بذلك التوازن العددي بين الرجال والنساء، وهذا الاختلال تشهد به إحصاءات كثير من دول العالم، ويؤدِّي إلى خللٍ مجتمعيٍّ وأخلاقيٍّ إذا ما اقتصر الأمر على الزواج بواحدة، حيث يبقى كثير من النساء بلا أزواج، وهذا يعني أن النساء غير المتزوجات لن يجدن سبيلاً شرعيًا لتلبية غريزتهن، وسيبقين عرضةً لوساوس الشيطان واستغلال ضعاف النفوس وقليلي الإيمان، وإذا امتنع جميع المجتمع عن التعدُّد فإن المحذور الذي لا يرضاه الشرع ولا العقل سيقع لا محالة.

إن نظرةً متأنيةً للعالم اليوم وما اجتاحه من أنواع الرذائل والفواحش، مما لم تكن تعرفه البشرية في وقت مضى، كفيلةٌ بالدعوة للعودة إلى الفطرة وداعي العقل والشرع، والتوقف عن الانجراف خلف قوم حرّفوا دينهم، ثم رموه خلف ظهورهم، واقتحموا كل ممنوعٍ ومرذول

(١) مادة بعنوان (جمهورية ألمانيا الاتحادية على مدار سبعين عامًا في أرقام) المركز الألماني للإعلام التابع لوزارة الخارجية الألمانية.

بالإضافة لحاجة بعض الرجال إلى التعدُّد لظروفه أو ظروف زوجته، فإن لم يلبِّ غريزته داخل مؤسسة الزواج فسيبحث عنها خارجها، وفي ذلك باب فتنةٍ عظيم.

> في التعدد مصالح للمرأة ومراعاة لبعض أحوالها مثل كونها عقيمًا أو أرملة أو غير ذات زوج، فيكون التعدُّد -مع زوج تتشارك معه الحياة العائلية وما فيها من مودةٍ ورحمةٍ وعاطفة- خيرٌ لها من الطلاق والبقاء بلا زوج فتكون عُرضةً للإهمال أو الشفقة والمواساة من الغير!

ثالثًا: جوانب إنسانية عميقة:

الإسلام دين متوازن، يراعي تلبية الاحتياجات المتفاوتة للبشر بصورة آمنة، ولا يضع الآصار والقيود التي تؤدي بالناس إلى الحرج، ويعطي للضرورات أحكامًا خاصة، وإباحة التعدد في الإسلام لا تخرج عن هذا النسق المتوازن المعتدل.

- فمن الرجال من يكون صاحبَ منصبٍ ومالٍ وجاه، فترغب النساء في الاقتران به ولو كان متزوجًا، وبما لا يضر بالزوجة الأولى.
- وقد تكون المرأة عقيمًا فيقتضي حفظ العشرة وحسن التبعل معها أن تبقى على ذمته محفوظة مكرمة مع الزواج بغيرها، بل قد تجد في أطفال ضرتها ما يؤانس وحشتها في غياب زوجها ويشبع غريزة الأمومة والحنان لديها.
- والحياة كثيرة العوارض والحوادث، وقد يعرض للزوجة من العوارض الصحية والنفسية والجسدية ما يُعيق قيامها

بدور الزوجية على الوجه الكافي، فيحتاج الرجل لإعفاف نفسه بأخرى، من غير إزراء أو إجحاف بحق الأولى.

- ومن الذي حكم أن الزواج بالثانية ضرر محض على الأولى؟! فقد يكون فسحة دورية لها لتتفرغ لنفسها في تحصيل علم أو منفعة، فإذا حضر زوجها قامت وأدت دور الزوجية الدافئ، وإذا غاب عادت لنفع نفسها وأولادها بما لا تستطيع فعله في حضور الزوج ومسؤوليات وجوده. بل يرسم الابتعاد المؤقت مساحة للشوق والحنين، بما لا يمكن إيجاده في ظل الحضور اليومي والدائم، فهو بهذه الصورة يجدد المشاعر والعواطف.

- ثم إن في الزواج من الأرملة التي مات زوجها عنها، مواساة وكفالة لها، ونشرًا للإيجابية والتضامن في المجتمع من غير استشراف ولا منة، وقل مثل ذلك عن المطلقة، ولنا في مجتمع الصحابة أسوة حسنة، فهذه أسماء بنت عميس رضي الله عنها، كانت زوجة جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، فلما استشهد تزوجها أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ولما مات تزوجها علي رضي الله عنه، ولم ينقص من قدرها ذلك بل زادها شرفًا إلى شرف، بصحبة أكارم الرجال، ولم يضر ذلك زوجاتهم الأخريات.

إن المشرع الحكيم لا يشرع لحالات فردية خاصة، بل يتسع ليشمل الزمان والمكان والأشخاص في كل العصور ولجميع الأجيال، ومحال أن يجوز النقص في تشريعه ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤]، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

الإسلام دين متوازن، يراعي تلبية الاحتياجات المتفاوتة للبشر بصورة آمنة، ولا يضع الآصار والقيود التي تؤدي بالناس إلى الحرج، ويعطي للضرورات أحكامًا خاصة، وإباحة التعدد في الإسلام لا تخرج عن هذا النسق المتوازن المعتدل

التعدد الناجح:

إن نظرةً متأنيةً للعالم اليوم وما اجتاحه من أنواع الرذائل والفواحش مما لم تكن تعرفه البشرية في وقت مضى، كفيلةٌ بالدعوة للعودة إلى الفطرة وداعي العقل والشرع، والتوقف عن الانجراف خلف قوم حرّفوا دينهم، ثم رموه خلف ظهورهم، واقتحموا كل ممنوعٍ ومرذول.

وبدلاً من المرابطة حول التعدِّيات والممارسات الخاطئة التي حصلت لدى المعدِّدين، وتضخيمها والنفخ فيها، ينبغي تصحيح هذه الممارسات، والعزم على تحقيق العدل الذي فرضه الله على عباده، والتعامل بالإحسان الذي يحبه الله، ومن ذلك في سياق التعدد:

- الاختيار الجيد القائم على الدين والخلق كي يتعايش الأزواج والزوجات في منظومة أسرية متجانسة، تعلي من قيمة المبادئ الشرعية والمصالح المشتركة.
- الاتعاظ من النماذج السلبية والتجارب الظالمة للتعدد، وتلافي أخطائها قدر الاستطاعة.
- الاستقلالية في المسكن والمعيشة الخاصة استقلالاً تامًّا لمن قدر على ذلك، وهذا أفضل لجميع الأطراف.

- امتصاص ردَّات الفعل الناتجة عن الغيرة الطبيعية وتقبلها برحابة صدر اقتداء بالنبي ﷺ عندما كسرت عائشة القصعة التي كان يحملها الخادم من بيت حفصة، فاعتذر النبي ﷺ عن صنيعها، فقال: (غارت أمكم)[1]، وذلك حتى لا يُحمل صنيعُها على ما يُذم وإنما يقع ذلك كثيرًا بين الضرائر بسبب الغيرة.
- تنظيم أساليب المعيشة، والتفاهم وتحري العدل في كل الأمور ما أمكن، في المبيت والنفقة والإجازات والسفر والترفيه، والتفاهم حول ضوابط العلاقات الاجتماعية بوضوحٍ تام، ومناقشة المصاريف والموازنة العامة للأسرة بشكل دوري، والحرص على ضمان الكفالة الكريمة التي تؤدِّي إلى الرضا والاستقرار وحسن العشرة لجميع الأطراف.
- في بعض الحالات قد يمكن مناقشة الزوجة الأولى وأولاده منها ومفاتحتهم في موضوع الرغبة في تأسيس بيت آخر لزوجة أخرى مع طمأنتهم بالضمانات القانونية والاجتماعية والأدبية وخاصة فيما يخص مسائل الإرث والوصية.
- دراسة جدوى التعدد ومدى الحاجة إليه، أو القدرة عليه سواء للرجل أو المرأة التي يريد الزواج بها، حتى لا يقع الطلاق أو الفشل بعد الإقدام عليه.

بدلاً من المرابطة حول التعدِّيات والممارسات الخاطئة التي حصلت لدى المعدِّدين، وتضخيمها والنفخ فيها، ينبغي تصحيح هذه الممارسات، والعزم على تحقيق العدل الذي فرضه الله على عباده، والتعامل بالإحسان الذي يحبُّه الله

(١) أخرجه البخاري (٥٢٢٥).

وختامًا:

فإن الله تعالى الخبير بخلقه وما يصلح لهم قد شرع التعدد لصلاح حالهم وحياتهم، ورضي ذلك لأكرم خلقه الأنبياء وجعلهم قدوات للناس، وشرع لهم ما يضمن القيام به على الوجه الأصح بالعدل والمودة والرحمة، وهذا الأمر يحتاج من الرجل إلى خلق رفيع وخوف من الله حتى يتحرى العدل ولا يقع في ظلم نسائه ويعاملهن بالحسنى، ويحتاج من المرأة إلى إيمان عميق وتسليم لله حتى لا تعترض على ما أباحه الله لزوجها في كتابه الكريم، ويحتاج منهما إلى الحكمة وحسن التصرف حتى تقوم البيوت على التقوى وتعمر بالإيمان.

وبمثل هذا التشريع كفل الله للبشرية استقرار النفوس واطمئنان البيوت، والمحافظة على الفطر السليمة والبعد عن العلل والأمراض، وحفظ النسل البشري وتحقيق الاستخلاف وعمارة الأرض.

دعوة

دور المرأة في تعزيز السلوك الإيجابي عند الرجل

د. حنان فتال ييرودي
أستاذ في الفقه الإسلامي وأصوله

الفهرس

للمرأة دورٌ كبيرٌ ومؤثِّرٌ في حياة الأمة، فهي شريكة الرجل ونصيرته في دروب الحياة، فكم مِن نساءٍ أخرجن للأمة على مرِّ العصور قادةً وأعلامًا كبارًا، أو كنَّ خلف ذلك، ومِن هنا كان لا بدَّ لنا أن نتعرَّف كيف ترتقي المرأة بمستوى علاقتها بالرجل لتكون له خير داعم وسند ومعين؛ زوجةً كانت أو أمًا أو أختًا

كثيرًا ما نسمع ونردِّد مقولة: «وراء كلّ رجل عظيم امرأة»، هذه المقولة التي تحمل في فحواها معنىً عظيمًا لحاجة الرجل العظيم إلى امرأة عظيمة تعينه على نوائب الدنيا، وتقوّي قلبه على الحقّ، ويكون لها أثرٌ إيجابيٌ في تحقيق نجاحاته.

ولقد كان للمرأة المسلمة حظٌ وافرٌ من التأثير الإيجابي الطيب في حياة أولئك العظماء، والمتصفّح لسيرة رسول الله ﷺ وهو عظيم الأمة، ولسيرة أعلامها، يجد نماذجَ رائعة للدور الإيجابي الذي قامت به المرأة المسلمة لتعزيز أنماط السلوك الإيجابي عند الرجل، بدءًا من أمهات المؤمنين زوجات رسول الله ﷺ، ومرورًا بنساء أصحابه رضي الله عنهم والمسلمين عمومًا.

فالمرأة في نظر الإسلام هي مساعدة وشريكة ورفيقة الرجل في دروب الحياة، تساهم في تخفيف الضغط والتوتر عنه، وتهيئ البيئة اللازمة له كي يفكّر في مهمات الأمور تفكيرًا سليمًا، بل تكون شريكته وصاحبة مشورة معه في حلّ مشاكله، واتخاذ القرارات المهمة المتعلقة بعمله وأسرته، فوظيفتها لا تقتصر على إشباع حاجاته الجسدية، بل هي خير داعم له في تقديم المشورة والنصح، وبهذا تثبت المرأة دورها الفعال كزوجة ناصحة محبّة، تعيش هموم زوجها وتشاركه المشورة في حلها.

ولا أدلّ على ذلك من هذين الموقفين لأمهات المؤمنين في مؤازرتهنّ لرسول الله ﷺ، والوقوف بجانبه معزّزات محفزات له في معضلات تعرّضَ لها، فكنّ خير مرشد ومساند.

إنَّ المتصفّح لسيرة رسول الله ﷺ وهو عظيم الأمة، ولسيرة أعلامها، يجد نماذجَ رائعة للدور الإيجابي الذي قامت به المرأة المسلمة لتعزيز أنماط السلوك الإيجابي عند الرجل

الموقف الأول: موقف السيدة خديجة رضي الله عنها من بعثته:

كان للسيدة خديجة رضي الله عنها دورٌ بارزٌ في دعم رسول الله ﷺ في دعوته، وتأييده في أشد أوقات حياته، وتثبيت قلبه على الحق، وإعانته على أمور الدعوة وأعباء الرسالة التي كُلِّف بها، فكانت أول من آمن به وصدّقه، وجنّدت نفسها ومالها وحسبها في سبيل نصرته ودعمه، وذلك حين نزل الوحي عليه ﷺ في غار حراء لأول مرة، فرجع إلى خديجة رضي الله عنها فأخبرها الخبر، وقال: (لقد خشيت على نفسي)، فقالت له رضي الله عنها: «كلا والله.. ما يخزيك الله أبدًا، إنك لتصلُ الرحم، وتصدُقُ الحديث، وتحمِل الكلّ، وتُكسِب المعدوم، وتُقري الضيف، وتُعين على نوائب الحق»[(١)]. ولذلك استحقّت أن يَذكرها دائمًا بخير حتى بعد وفاتها، ويبيّن أثرها الإيجابي في نفسه وعلى دعوته، فيذكرها يومًا أمام عائشة رضي الله عنها، فتثور غيرة النساء في قلبها لكثرة ذكره لها، فتقول له: «هل كانت إلا عجوزًا قد أبدلك الله خيرًا منها؟»، فيغضب ويقول ذاكرًا فضلها فيما دعمته به: (ما أبدلني الله خيرًا منها، لقد آمنت بي إذ كفر الناس، وصدّقتني إذ كذّبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله عز وجل ولدها إذ حرمني أولاد النساء)[(٢)].

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣) ومسلم (١٦٠).
(٢) أخرجه أحمد (٢٤٨٦٤) والطبراني (١٣/٢٣) برقم (٢١).

الموقف الثاني: موقف السيدة أم سلمة رضي الله عنها في صلح الحديبية:

تقف السيدة أم سلمة أم المؤمنين رضي الله عنها خلف عظيم الأمة، داعمة له، ومشيرة عليه في حلّ معضلة أَلَــمّت به، فتعزز موقفه، وتخرجه من ضائقته، وذلك يوم الحديبية حيث دخل خيمتها حزينًا بعد أن عقد صلحًا مع مشركي قريش، يُلزم المسلمين الذين أتوا معتمرين لبيت الله الحرام بالعودة دون أداء المناسك على أن يعودوا العام المقبل، فتسأله عن سبب حزنه فيخبرها أنّه أمر أصحابه بالتحلل من الإحرام وفقًا للشرط، لكنّ أحدًا من الصحابة لم يلتزم أمره، حيث منعهم الذهول والحزن من الاستجابة، وهنا ما كان من هذه المرأة العظيمة إلا أن تنقذ الموقف بمشورة قدّمتها للنبي ﷺ، إذ قالت له: «يا نبي الله، أتحب ذلك؟ اخرج ثم لا تكلّم أحدًا منهم كلمة، حتى تنحر بُدنَك، وتدعو حالقك فيحلقك. فخرج فلم يكلم أحدًا منهم حتى فعل ذلك، نحر بُدنه، ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضًا»(١).

عززت السيدة أم سلمة رضي الله عنها هنا مبدءًا مهمًّا من مبادئ الأسرة والدولة وهو مبدأ الشورى، وحسمت مشورتُها أمرًا جللاً على مستوى الدولة، ومسحت بهذه المشورة ألَــمًا أحاط بقلب زوجها، فأسكنت غضبه وأزالت ألمه.

الدور المطلوب:

في هذين الموقفين درس عظيم لكل امرأة أن ترتقي بمستوى علاقتها بالرجل زوجة كانت أو أمًا أو أختًا إلى مستوى المحاكاة الفكرية والعقلية له، وما أحوج الرجل في ظل ظروف الحياة الصعبة التي يعيشها العالم هذه الأيام إلى المرأة التي تشاركه هموم الحياة، وتكون له نعم السند في الشدائد والملمّات، فهو

(١) أخرجه البخاري (٢٧٣١).

محتاج إلى المرأة الذكية القادرة على القيام بأدوار متعدّدة في حياته، فتكون تارة صديقة تشاركه مشاكله وطموحاته، وتكون تارة أخرى القلب الحنون الذي يأوي إليه ليبثّ همومه وأحزانه، وتكون في أخرى الفكر الحازم الذي يسانده بمشوراته وأفكاره.

وليس في هذا إخراج للمرأة عن أنوثتها، أو تحميل لها بما هو فوق طاقتها، بل إفهامها بدورها الأساسي في بناء الأسرة ومساندة الزوج، لتكون امرأة ذات قيمة وهدف. كما أنّه لا يعني أبدًا أن تمارس دور زوجها؛ فتصبح امرأة متمرّدة على أوامر وحقوق زوجها بدعوى تحملها للمسؤوليات، فهذا تسلّط مقيت يتنافى مع صلاحيات المرأة، ومع دعم مشورتها، بل الإنصاف يعني تحمّل كل من الطرفين لمسؤولياته مع مساندة ومؤازرة الطرف الآخر له.

والمطلوب هنا ليس أن تتحوَّل الزوجة إلى عالمةٍ أو خبيرةٍ بعمل زوجها، فقد لا يتأتّى ذلك إلا للنادر من النساء، لكن المؤمَّل منها أن تعطي جزءًا من اهتمامها لزوجها، وأن تُشعره بملاحظتها لتعكُّر مزاجه وقلقه عندما تغلق السبل في وجهه، فتفتح له قلبها وتصغي له بأذنها وعقلها، وهي الخبيرة به وشريكته في حياته بحلوها ومرها، وستجد بلا ريب شيئًا تقترحه عليه كما فعلت أم سلمة رضي الله عنها، أو يخطر ببالها خبيرٌ من قومها تستشيره كما فعلت خديجة رضي الله عنها، وإذا تركته يسترسل في وصف ما يواجهه من هموم ومصاعب مصغيةً مهتمةً فهذا وحده معينٌ له على تقليب أفكاره وعودته لرشده، فكيف إذا جمعت إلى ذلك عبارات تهدئ من روعه وتسلِّيه، وتعيد له ثقته بنفسه، وعزمه على إعادة التجربة والمحاولة.

> أن ترتقي المرأة بمستوى علاقتها بالرجل ليس إخراجًا لها عن أنوثتها، أو تحميلاً لها بما هو فوق طاقتها، بل هو من صلب دورها الأساسي في بناء الأسرة ومساندة الزوج، لتكون امرأةً ذات رسالةٍ وهدف

ليست الزوجة فقط:

دور المرأة في تعزيز سلوك الرجل لا يقتصر على الزوجة، بل هو دور ينبغي أن تمارسه الأم أيضًا مع أولادها، فتربّيهم التربية الصالحة، وتوجّههم التوجيه السليم، وتعلمهم كيف يتخذون قراراتهم، ويواجهون مصاعب الحياة، لتعزّز فيهم أنماط السلوك الإيجابية، والتي تمارس دورًا كبيرًا في بنائهم ليكونوا عظماء في المستقبل.

وتاريخنا الإسلامي مليء بنماذج مشرّفة لأمهات صنعن من أبنائهن عظماء رغم يتمهم وضيق الحال الذي عاشوه، لكن استطاعت تلك العظيمات تعزيز جوانب الخير والتألّق في أولادهن، فأخرجنَ لنا عظماء حملوا همّ أمة بدل حمل همّ لقمة العيش.

لقد كان لأمّ الإمام الشافعي أكبر الأثر في تعزيز وتوجيه أنماط السلوك عنده، حتى نشأ نشأة صلاح وعلم، رغم يتمه وفقره، حيث انتقلت به بعد وفاة أبيه من غزّة إلى مكة حفاظًا على نسبه الشريف، وليتربّى بين أهل العلم والسلف الصالح، فصنعت منه إمامًا من أئمة المسلمين، يتبع آراءه الفقهية اليوم الملايين في العالم.

وكذلك فعلت أمُّ الإمام أحمد بن حنبل، فقد قال: «لم أرَ جدي ولا أبي»، والمعروف أن أباه مات بعد ولادته، ولا بد أنَّ ذلك كان وهو صغير لا يعي ولا يدرك شيئًا، ولقد قامت أمه

بتربيته، فأحسنت في ذلك أيما إحسان، حتى قال بعض الآباء: «أنا أنفق على ولدي وأجيئهم بالمؤدبين على أن يتأدَّبوا فما أراهم يُفلحون، وهذا أحمد بن حنبل غلامٌ يتيم، انظر كيف يخرج! وجعل يعجب»[1].

المرأة العالمة:

وإدراك المرأة لدورها كزوجة ناصحة وأمّ مربّية، لا ينبغي أبدًا أن يثنيها عن دورها كمثقّفة وداعية وعالمة في مجال اهتمامها، فتمارس دورًا رائدًا جنبًا إلى جنب مع الرجل في وضع بصمتها العلمية في خدمة الأمة رجالاً ونساءً معزّزة أنماطًا من السلوك القويم في نشر العلم والخير والفضيلة، والمتصفّح لدور المرأة المسلمة في نشر العلم عبر تاريخنا الإسلامي يَجدُ العجب العجاب، في الدور البارز للمرأة في نشر العلم والتمكّن منه، لدرجة أن يتلقّى عنها كبار رجالات الأمة فيأخذون عنها العلم، وتكون خير معزّز لهم في حمل العلم ونشره.

تروي لنا كتب الأعلام عن المحدّثة أُنس بنت عبد الكريم اللخمية (المولودة سنة ٧٨٠ للهجرة) وزوجة الإمام ابن حجر العسقلاني أنّها أخذت العلم برعاية زوجها عن مشايخ من مصر والشام ومكة واليمن، وقرأ عليها الإمام السخاوي أربعين حديثًا نبويًا عن أربعين شيخًا بحضور زوجها، وهل يكون الدعم بأكثر من هذا؟!

ولابن حجر أختٌ أكبر منه بثلاث سنوات اسمها «ست الرَّكب» كانت قارئة وكاتبة قال عنها ابن حجر: «فلقد انتفعت بها وبآدابها مع صغر سنها»[2].

والفقيهة الحنفية فاطمة بنت علاء الدين السمرقندي زوجة الإمام الكاساني صاحب كتاب بدائع الصنائع في الفقه الحنفي،

(١) مناقب الإمام أحمد، لابن الجوزي، ص (٢٣).
(٢) المجمع المؤسس للمعجم المفهرس، لابن حجر (١٢٢/٣).

كانت -ولشدّة إتقانها للمذهب- قد حازت ثقة والدها الفقيه الحنفي، وأهل بلدها، حتى تصدّرت معه للإفتاء، فكان لا يُخرج صكَّ فتوى من بيته إلا مذيَّلاً بتوقيعها مع توقيعه. وكان زوجها الكاساني يستشيرها في الفتوى ويعمل بقولها، بل وربما يهمُّ في الفتوى فتردّه إلى الصواب، وتعرّفه وجه الخطأ فيرجع إلى قولها[1]، وكان صلاح الدين الأيوبي يستشيرها في بعض أمور الدولة، ويسألها في بعض المسائل الفقهية.

والأمثلة في هذا الموضوع كثيرة، سُقت بعضها لأدلّل على دور المرأة المسلمة في تعزيز الموقف الإيجابي عند الرجل، بل صناعة العظماء والنبلاء، فالمسلمون بعضهم أولياء بعض، يؤيّد بعضهم بعضًا، ويدعم بعضهم بعضًا، رجالاً ونساءً.

دور المرأة في تعزيز سلوك الرجل لا يقتصر على الزوجة، بل هو دور ينبغي أن تمارسه الأم أيضًا مع أولادها، وتاريخنا الإسلامي مليء بنماذج مشرّفة لأمهات صنعن من أبنائهن عظماء رغم يتمهم وضيق الحال الذي عاشوه

كيف تقترب نساؤنا من هذه الأدوار السامقة:

وهذه الأدوار بحاجة لإيمان عميق من النساء بالأجور العظيمة المترتبة عليها، فالتي لا ترى فائدة في تنشئة أولادها على العلم والأدب ستفضل النوم على مشقة إيقاظها وتهيئتها لهم لحضور صفوف العلم والدرس، وكذلك التي ترى في زوجها منغصًا لسعادتها وتسليتها أو عائقًا أمام عملها خارج البيت

(١) ينظر: أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، لعمر رضا كحالة (٩٤/٤).

لن تبذل له من وقتها لتستمع لما يواجهه من صعوبات أو هموم فضلاً عن أن تسهم في حلها أو مواساته فيها.

وفوق ذلك لا بد أن تعي النساء أهمية دورهن المؤثر والكبير في حياة الأمة، وأن نساء وجد فيهن هذا الوعى خرجن للأمة أعلامًا كبارًا في كل العصور، فهذا إمام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه الله، وبالرغم من وجود أبيه، ولحُسن عناية أمه به ذكر لها أنه يريد أن يذهب فيكتب العلم، فألبسته أحسن الثياب وعمَّمته، ثم قالت: «اذهب فاكتب الآن»، وكانت تقول: «اذهب إلى ربيعة فتعلم من أدبه قبل علمه»[1]، فماذا كانت النتيجة؟ لا شك أن لها نصيبًا من الأجر في كل علم استفيد من مالك إلى يوم الدين، وهل هناك تحقيق للذات أشرف وأعظم من هذا؟!

> **إذا توفر الإيمان وإدراك شرف دور المرأة مع زوجها وأولادها والوعي بطبيعة الأدوار وأهمية كل منها، استقامت الحياة وأدى كل منهما أفضل ما عنده راضيًا قانعًا متلذذًا محتسبًا يقدم ما يستطيعه، وعينه على ما سيلقاه من الأجر والثواب يوم الجزاء والحساب**

الرجل خلق ليعمل ويكسب وينفق على أسرته ويرعاهم من المخاطر، والمرأة خُلقت من ضلع الرجل لتكمله وتحنو عليه وترعاه وترعى أولادها حتى تقر عينها بصلاحهم واستقامتهم، ولا يعكر على هذا تمكن بعض النساء من العمل والحضور خارج البيت، لكننا نتحدث عن الأغلب الأعم.

(١) ترتيب المدارك، للقاضي عياض (١/١٣٠).

فإذا توفر الإيمان وإدراك شرف دور المرأة مع زوجها وأولادها والوعي بطبيعة الأدوار وأهمية كل منها، استقامت الحياة وأدى كلٌّ منهما أفضل ما عنده راضيًا قانعًا متلذذًا محتسبًا يقدم ما يستطيعه، وعينه على ما سيلقاه من الأجر والثواب يوم الجزاء والحساب.

لا بد أن تعي النساء أهمية دورهن المؤثر والكبير في حياة الأمة، وأن نساء وجد فيهن هذا الوعي خرجن للأمة أعلامًا كبارًا في كل العصور

وختامًا:

في كلّ ما سبق بيانٌ لأهمية الدور الذي يجب أن تمارسه المرأة المسلمة زوجة وأمًّا وأختًا وعالمة وفقيهة وأديبة، ولا ترضى أن تحجّم نفسها بحدود ما يريدها له مَن ينظر إليها كجسد للمتعة، وآلة للغواية، ومحرك للفتنة، فدورها في الوجود أعظم من هذا، فهي صانعة الرجال، وبانية الأسرة، وداعمة الفكر والحق.

الحياة الثقافية والاجتماعية عند التابعين

أ. يوسف العزوزي
باحث في الدراسات الفقهية والقضايا الشرعية - المغرب

عصر التابعين مِن العصور المباركة، شهد تحوّلاً مهمًّا وحاسمًا في تاريخ المجتمع المسلم، وللتابعين مزية متقدمة فهم الذين تلقَّوا علومهم على يد صحابة رسول الله ﷺ، ومثّلوا صلة الوصل بين حقبة الصحابة وجيل أئمة المذاهب الفقهية، فاشتمل عصرهم على العديد من المشاهد والعبر التي يقف الإنسان أمامها مذهولاً مشدودًا مِن عظمة أصحابها ونُبل أخلاقهم وسموّ مقامهم

التابعون ومكانتهم:

يعتبر عصر التابعين مرحلةً زمنيةً مباركةً من خير العصور وأفضلِها، حيث زكّاهُ النبي ﷺ وأثبت خيريته وفضله؛ فقال فيما رواه عنه عمران بن الحصين رضي الله عنهما: (خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم)[١].

وعن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (والله لا تزالون بخير ما دام فيكم من رآني وصاحبني، والله لا تزالون بخير ما دام فيكم من رآى من رآني وصاحب من صاحبني)[٢].

بل يرى بعض المفسرين أن الله تعالى زكَّى التابعين بقوله: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، وذلك بأنَّ بالمقصود بقوله: ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾ التابعون[٣].

والتابعيُّ في مصطلح الحديث: كل من لقي الصحابة وهو مسلمٌ ومات مسلمًا، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «التابِعِيّ: هو مَن لَقِيَ الصحابِيَّ»[٤]، قال الخطيب البغدادي: «التابعي:

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٥١) ومسلم (٢٥٣٥).
(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٣٢٤١٧).
(٣) ينظر تفسير القرطبي وابن كثير وغيرهما.
(٤) ينظر: نخبة الفكر، ص (٦٣).

من صحب الصحابي»[١]، وقال ابن كثير: «وفي كلام الحاكم ما يقتضي إطلاق التابعي على من لقي الصحابي وروى عنه وإن لم يصحبه»[٢]، وقال العراقي رحمه الله: «والتابعُ اللاَّقِي لِمَن قَد صَحِبَا»[٣].

ولا يعدُّ من لقي الصحابة من التابعين إلا بشرط اتباعهم بإحسان، قال ابن الصلاح: «ومطلَقه مخصوص بالتابع بإحسان»[٤]، قال أبو شهبة: «والذي يظهر لي أن مراد ابن الصلاح التابعي الذي وردت في فضله الأحاديث الصحاح والحسان والمستحق لهذا الفضل، أما من لم يستقم على الإسلام الكامل، وأساء إلى الإسلام والمسلمين، فهو بمعزل عن أن يكون من التابعين بإحسان، وذلك كالحجاج بن يوسف الثقفي، وعمرو بن سعيد الذي كان يرسل الجيوش إلى مكة لقتال عبد الله بن الزبير، فقد أساء إلى الحرم وإلى الكعبة وإلى أهل الحرم، فابن الصلاح على حق في هذا التعبير»[٥].

وإنما بلغ التابعون هذه المكانة السامقة، ونالوا ما هنالك لأنهم تلقَّوا علومهم على يد صحابة رسول الله ﷺ، ونهلوا من علمهم، وحفظوا مروياتهم، وكتبوا أحاديثهم وبلّغوها الناس كافة، ومثّلوا صلة الوصل بين حقبة الصحابة وجيل أئمة المذاهب الفقهية، فاشتمل عصرهم على العديد من المواقف والعبر التي يقف الإنسان أمامها مذهولاً مشدودًا من عظمة أصحابها ونُبل أخلاقهم وسموّ مقامهم، ولا عجب في ذلك؛ فهم الجيل الذي تربّى على يد أصحاب محمد ﷺ.

(١) الكفاية في علم الرواية، ص (٢٢).
(٢) الباعث الحثيث، ص (١٦١).
(٣) ألفية العراقي، البيت (٨١٧).
(٤) مقدمة ابن الصلاح، ص (٣٠٢).
(٥) الوسيط في علوم ومصطلح الحديث، ص (٥٤١-٥٤٢).

ومع هذا الجيل بدأت تظهر بوادر المجتمع الجديد، حيث إنه أعاد تشكيل نفسه مستجيبًا للمعايير الإسلامية التي تلقفها أصحابه، ومتفاعلاً مع الانفتاح الحضاري الذي فرضته الفتوحات، وأملاه التوسع وامتزاج الثقافات وتداخل الحضارات إذ ذاك، فانتقل في جزء منه من مرحلة البداوة إلى مرحلة التحضر والتمدّن والتطور عبر مختلف الميادين والأصعدة.

ولم يكن الجانب العلمي الثقافي والاجتماعي أيضًا في منأىً عن هذا التطور والتقدم، بل كان من صميم ذلك.

فبعد أن كانت دائرة العلوم محدودة متعارفًا عليها لا تُتجاوز إلى ما عداها إلا لمامًا، ظهرت بوادر الانفتاح على علوم أخرى وبرز التدوين وازداد نشاط الحركات العلمية، وتنوّع الإنتاج العلمي يومئذ تنوّعًا شمل مختلف العلوم والفنون، فاعتنوا بها وأعلنوا تأسيس عدد منها، ودقّقوا معانيها ونقّحوا مصطلحاتها وقعّدوا قواعدها وجمعوا أجزاءها وأركانها ضمن مجلدات وكتب كانت باكورة تلك العلوم والفنون.

> **بلَغ التابعون هذه المكانة السامقة، ونالوا ما هنالك لأنهم تلقَّوا علومهم على يد صحابة رسول الله ﷺ، ونهلوا مِن علمهم، وحفظوا مروياتهم، وكتبوا أحاديثهم وبلّغوها الناس كافة، ومثّلوا صلة الوصل بين حقبة الصحابة وجيل أئمة المذاهب الفقهية**

حركة التدوين وتأسيس العلوم:

كانت الكتابة في العصر النبوي على غير الصورة التي وُجدت بها فيما بعد مع التابعين ومَن بعدهم، وربما كان ذلك كذلك لقلّة الكاتبين، أو لاحتمال عدم حاجة الصحابة إلى الكتابة لأنهم

في الجوار النبوي، فهم يتلقّون الفقه والحديث من منبعه غضًّا طريًّا عن رسول الله ﷺ ويعملون به، ولنهيه ﷺ أصحابه عن كتابة الحديث في بداية الأمر وقبل جمع القرآن، لكن في عصر التابعين بدأت الكتابة بجميع أنواعها -ككتابة الحديث والفقه والسير والتاريخ وتدوينها- تزداد شيئًا فشيئًا، وتزدهر، وظهرت بوادر التأليف والتأسيس لبعض العلوم، نظرًا لبروز الحاجة إلى تقريب العلوم وشرحها.

وبعد أن كان التدوين في زمن النبي ﷺ والصحابة عبارة عن صحف صغيرة في مجمله، فإن عصر التابعين شهد أنماطًا أخرى، وبلغ بالمكتوب أن يسمّى طرسًا وكتابًا بعد أن كان صحفًا وسطورًا، وقد وصلنا بعض هذه المدوّنات عن طريق الروايات، وإن لم يصلنا نصّها بشكل مفرد؛ فقد ضاعت تلك المؤلفات ولم تصل إلينا، كما ضاع غيرها من كتب التفسير التي أُلِّفت بعد عصر التابعين؛ فغُيبت تآليفهم وحجبت عنا مؤلفاتهم وتلك آفة كل مكتوب(١).

وقد روى أبو نعيم عن ابن أبي الزناد قال: «قال عروة بن الزبير: كنا نقول: لا نتخذ كتابًا مع كتاب الله، فمحوت كتبي، فوالله لوددت أن كتبي عندي»(٢).

ولم يألُ الخلفاء والأمراء جهدًا في تشجيع هذه المسيرة الثقافية والحركة العلمية وتعزيزها والدفع بها قدمًا، فاهتموا بحسن خدمتها وقرّبوا العلماء والفقهاء الذين حظوا بصحبة كثير من علماء الصحابة ونخبة علماء التابعين، واستفادت الدولة منهم وأفادوا، وكانوا يكرمونهم ويؤيّدونهم في دفع

(١) كتفسير سفيان بن عيينة ووكيع بن الجراح وغيرهم، وخلاصة العلم بها حاصلة ما دام أنها قد نقلت إلينا أقوالهم متناثرة ومدونة في الكتب.

(٢) حلية الأولياء (١٧٦/٢).

نشاط الحركة العلمية، فتنوّع الإنتاج العلمي تنوّعًا واسعًا في مختلف العلوم.

ولا أدلَّ على ذلك من جمعهم قواعد العربية بعد اختلاط العجم بالعرب؛ فبدأ اللحن يظهر عند العرب بفعل احتكاكهم مع غيرهم، فاستنكر العرب هذه الظاهرة، لينبري أبو الأسود الدؤلي وتلامذته لوضع رسم إعراب القرآن عن طريق النقطِ والشكلِ أولاً، ووضع قواعد النحو بعدها، فكانت الخطوة الأولى لتأسيس علم اللغة العربية الذي له مقوماته التي يقوم عليها من منهج وقواعد، ثم أدّى ازدياد اختلاف العلماء فيما بينهم في أمور اللغة إلى إنشاء مدارس لغوية، لكلٍّ منها مناهجها وطريقتها، وهذا كلّه أدى في نهاية الأمر إلى ضرورة الاعتماد على التدوين.

الطفرة الثقافية والحركة العلمية في عهد التابعين:

تأسست في هذا العصر مدارس للتفسير في عدد من الأقطار والجهات كالمدينة والعراق ومكة، والتي كان على رأس علمائها عبد الله بن عباس[1] رضي الله عنهما، قال ابن تيمية رحمه الله: «وأما التفسير فإنَّ أعلمَ الناس به أهلُ مكة لأنهم أصحاب ابن عباس»[2]، فكان الاهتمام منصبًّا على بيان معاني مفردات القرآن الكريم من خلال أقوال العرب وأشعارهم، وإبراز جوانب كثيرة من علوم القرآن كالقراءات والناسخ والمنسوخ وأسباب النزول، وفي المدينة وُجدَ المشتغلون بكتابة المصاحف وتفسير الآيات وشرح السور وبيان الأحكام والحكم، كابن المسيّب، ومعاذ بن الحارث المشهور بمعاذ القارئ، وعروة، وسالم، وغيرهم، والذين مثّلوا البذرة الأولى لظهور علم القراءات[3].

(١) مباحث في علوم القرآن، لمناع القطان، ص (٣٤٨).
(٢) مجموع الفتاوى (٣٤٧/١٣).
(٣) ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، للزرقاني (٢٨٦/١).

«ثم إن الصحابة رضوان الله عليهم قد اختلف أخذُهم عن رسول الله ﷺ؛ فمنهم من أخذ القرآن عنه بحرفٍ واحد، ومنهم من أخذه عنه بحرفين، ومنهم من زاد، ثم تفرقوا في البلاد وهم على هذه الحال، فاختلف بسبب ذلك أخذُ التابعين عنهم، وأخذُ تابع التابعين عن التابعين، وهلمَّ جرًا حتى وصل الأمر على هذا النحَو إلى الأئمة القراء المشهورين الذين تخصصوا وانقطعوا للقراءات يضبطونها ويعتنون بها وينشرونها»[1]، ويمثل كل واحد منهم مدرسة خاصة ومستقلة، أمثال نافع المدني، وأبي عمرو بن العلاء البصري، وعاصم وحمزة والكسائي الكوفيين، وابن عامر الشامي، وابن كثير المكي، وغيرهم من الرواة كورش وقالون وخلف والبزي وقنبل.

واهتمّ التابعون بالتاريخ والسير من خلال جمع سيرة النبي ﷺ ومغازيه وتاريخ المرحلة النبوية المطهّرة، وهو أمر لم يكن معهودًا، نعم كانت بعض الصحف التي تؤرخ لوقائع وصور محدودة مضمّنة مع بعض القضايا الأخرى، ولم تكن مستقلة ولا شاملة، لكنّ التأليف الشامل والمستقلّ في السيرة والتاريخ لم يعرف بتلك الصورة إلا في عصر التابعين مع موسى بن عقبة وعروة بن الزبير ومحمد بن إسحاق. يقول ابن سعد في الطبقات: «محمد بن إسحاق أول من جمع مغازي رسول الله ﷺ وألفها»[2].

وكذا اعتنى التابعون بجمع الحديث النبوي الشريف؛ حيث نشطت حركة جمع وتدوين الحديث بعناية الخليفة العادل والأمير المجاهد عمر بن عبدالعزيز رحمه الله، فكتب إلى قاضي المدينة أبي بكر بن حزم: «انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ فاكتبه، فإنّي خفت دروس العلم وذهاب العلماء، ولا تقبل

(١) المصدر نفسه (٢٨٦/١).

(٢) الطبقات الكبرى، لابن سعد (١١٧/٥).

الصفحة السابقة | الفهرس | الصفحة التالية

إلا حديث النبي ﷺ، ولتفشوا العلم ولتجلسوا حتى يعلم من لا يعلم فإن العلم لا يهلك حتى يكون سرًا»[١]، وكان محمد بن شهاب الزهري أحد أئمة العصر إذ ذاك، فكتب فرائد في علم الحديث، حتى عدّه بعضهم واضع مصطلح الحديث، وجامع الأحاديث والآثار بأمر من الخليفة عمر بن عبد العزيز رحمه الله، وفي هذا المعنى يقول الحافظ السيوطي رحمه الله:

أول جامعِ الحديثِ والأثر
ابنُ شهابٍ آمرًا له عمر[٢]

فجمع حديث المدينة وقدّمه إلى عمر بن عبد العزيز الذي بعث إلى كل أرض دفترًا من دفاتره، وكان لفشوِّ الوضع في الحديث أثرٌ في تأكيدهم على التدوين حفظًا للسنة ومنعًا من التلاعب بها، فلما أضحى الأمر كذلك مارسوا الدفاتر وسايروا المحابر وذادوا عنها من الشبه المخاطر.

وفي المجال الفقهي ظهرت مدارس فقهية كان روّادها ومرجعها الفقهاء السبعة[٣] بالمدينة المنورة، وغيرهم من التابعين الذين تعلّموا وتربّوا في مدرسة صحابة رسول الله ﷺ، كالحسن البصري، ونافع مولى عبد الله بن عمر، وشريح القاضي وغيرهم من فقهاء التابعين وعلمائهم ممن كانوا مرجعًا في القضاء والفتوى والرواية والإقراء في مختلف حواضر الإسلام. قال عبد الله بن المبارك رحمه الله متحدّثًا عن فضل المشتهرين من الأئمة والأعلام السبعة بالمدينة ومبرزًا مكانتهم: «كان فقهاء أهل المدينة سبعة... إذا جاءتهم المسألة دخلوا فيها جميعًا، فنظروا فيها، ولا يقضي القاضي حتى يرفع إليهم، فينظرون فيها، فيصدرون»[٤].

(١) القبس في شرح موطأ مالك بن أنس، لابن العربي (٩/١).
(٢) ألفية السيوطي في علم الحديث، البيت (٤١).
(٣) ينظر: تاريخ التشريع الإسلامي، لمناع القطان، ص (٣٤٤).
(٤) تهذيب التهذيب، لابن حجر (٤٣٧/٣).

وهذا ليس معناه أن الفقه انتهى إلى هؤلاء دون غيرهم، وإنما أقصى ما يعنيه أن هؤلاء اشتهروا بالفقه والدراية أكثر من غيرهم، فنسبة الفقه إليهم نسبة اشتهار لا نسبة اقتصار، وإلا فإن المجتمع بكلّ فئاته وأطيافه كان منخرطًا في هذه الطفرة الثقافية والعلمية: قُراء وقضاة ورواة وفقهاء وأمراء.

ولم يكن الأمر مقتصرًا على الرجال من التابعين، بل كان للمرأة دور ومشاركات كذلك، إما في جانب الرواية أو الدراية أو فيهما معًا، كما هو الشأن مع تلميذات أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها كعمرة بنت عبد الرحمن، وعائشة بنت طلحة، وحفصة بنت سيرين -أخت محمد بن سيرين- التي كانت إحدى فقيهات زمانها وأعلمهنّ، حتى قيل: إن أخاها محمدًا كان إذا أشكل عليه شيء من القراءة قال: «اذهبوا فسلوا حفصة كيف تُقرأ؟»[1].

> اهتمّ التابعون بالتاريخ والسير؛ مِن خلال جمع سيرة النبي ﷺ ومغازيه وتاريخ المرحلة النبوية المطهّرة، وهو أمرٌ لم يكن معهودًا، كما اعتنوا بجمع الحديث النبوي الشريف، وفي المجال الفقهي ظهرت مدارس فقهية كان روّادها ومرجعها الفقهاء السبعة

تحولات اجتماعية بارزة:

شهد العصر تحوّلاً مهمًّا وحاسمًا في تاريخ المجتمع والبيئة العربية بعد أن كان عصر صدر الإسلام ممهدًا له ومؤسسًا، فانتقل في جزء منه من مرحلة البداوة إلى مرحلة التحضّر، فوفدت إليهم وُفود حضارات عدّة وداخلتهم ثقافات متنوعة

(١) صفة الصفوة، لابن الجوزي (٢/٢٤٢).

وعادات وتقاليد بلغتهم عن طريق التوسّع والفتوحات والامتداد الجغرافي.

فشملت الفتوحات الإسلامية التي شارك فيها التابعون صحابة رسول الله ﷺ بلاد الشام والعراق وفارس ومصر وقسمًا من شمال أفريقيا ومناطق متفرقة في الأناضول وصولاً إلى حصار القسطنطينية حيث دفن الصحابي أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه، وهكذا اختلطت دماء التابعين بدماء الصحابة رضي الله عنهم في كل صقع وصوب، وظهرت منهم بطولات تحاكي في روعتها بطولات أساتذتهم.

كما قاد عدد من التابعين الجيوش الإسلامية لفتح المغرب والأندلس وكان من أبرزهم عقبة بن نافع الفهري وموسى بن نصير، والسمح بن مالك الخولاني وعبد الرحمن الغافقي، وفي المشرق برز قتيبة بن مسلم الباهلي ومحمد بن القاسم الثقفي في فتوحات خراسان وبلاد ما وراء النهر وبلاد السند والهند، ومسلمة بن عبد الملك في الأناضول وحصار القسطنطينية.

وفي عهد التابعين زادت أعداد المشاريع الإحسانية عن طريق الأوقاف والتبرعات التي توسعت مجالاتها وتنوعت بسبب كثرة الفتوحات الإسلامية وما أغدقت عليهم، فتوفرت لديهم الحوائط والمزارع والحدائق والدور وشتى أنواع الأموال والعقار، حتى صارت للأحباس هيئات خاصة تقوم على شؤونها وترعاها وتدبر أمرها بعد أن كثرت واتسعت[1].

وأقيمت المؤسسات الاجتماعية لإصلاح الطرقات والجسور، والمؤسسات الخيرية لكفالة اليتامى وشيدت الجوامع والمساجد والمراكز الطبية وعم الرخاء، حتى قيل إنه لم يبقَ فقير زمن الخليفة عمر بن عبد العزيز رحمه الله، لدرجة أن الأغنياء كانوا يخرجون زكاة أموالهم فلا يجدون يد فقير تنال هذا المال.

(١) الوقف في الإسلام تاريخ وحضارة، للطاهر زياني، ص (٢٣).

الصفحة السابقة | الفهرس | الصفحة التالية

ولا يكاد ينصرم عصر التابعين دون أن يفتح أمام القارئ نافذتين واتجاهين متضادين: أحدهما العادات والتقاليد الاجتماعية والعصبية الموروثة عن الحقب الزمنية السابقة، والآخر الثقافات والأفكار الدخيلة والمستوردة، وجزء غير يسير من تلك الأفكار والعادات بعيد كلَّ البعد عن الإسلام وتعاليمه، لذلك نجده لم يلبث طويلاً حتى بدأت تطرأ عليه تغييرات جعلته فيما بعد يتخلّص منها ويعيد تشكيل نفسه مستجيبًا للمعايير الإسلامية التي بُثت فيه، ومتفاعلاً مع الانفتاح الحضاري الذي باغته بعامل الفتوحات الممتدة.

وقد عرف عن عصر التابعين تعدد السجالات والنزالات مع الحكام والأمراء، ومن ذلك بعض حركات آل البيت وثورة قراء الكوفة مع ابن الأشعث، وغيرها، الأمر الذي كان له أثر في تشكل ملامح السياسة الشرعية وفقه التعامل بين الحاكم والمحكوم.

ومثلها الجهود البارزة في الحسبة على الأمراء والحكام، وأطرهم على الحق، من ذلك إنكار عامر بن عبد الله التميمي على الحجاج بن يوسف الثقفي، ومواقف الحسن البصري معه، ومواقف سعيد بن المسيب مع خلفاء بني أمية وغيرها.

كما لا يمكن أن تمرّ هذه الحقبة دون ذكر نسائها ومكانتهن السياسية والاجتماعية والثقافية، وفعاليتهن وتأثيرهن الاجتماعي في المجتمع الجديد.

فقد سايرت المرأة العربية في هذا العصر -خاصة- مجتمعها بكلّ ما كان فيه وما دخل إليه من حضارات وتأثيرات ثقافية، مما أتاح لها أن تطوّر فعليًا من شخصية المرأة التابعية وتطبعها بطابع خاص، فتراها تشارك في الحياة الاجتماعية والثقافية، فكانت حاضرة في ميادين التضحية والبطولة فأبلت البلاء الحسن، فمارست النشاط السياسي بفعل فصاحتها

وبلاغتها[١]، وصحبت الجيوش في حروبها، فكانت مساندة للجيش ومقاتلة.

وفي مجال الأدب تقربت إلى الشعراء مستمعة وراوية وناقدة، فكانت سكينة بنت الحسين بنِ علي بن أبي طالب أعلم النساء وأظرفهن[٢]، وأحسنهن أخلاقًا وسيدة زمنها، وكان الشعراء يتوافدون عليها ينشدون بين يديها الشعر بغية نقده والتفضيل بينهم. وكذا أميرات البيت الأموي كأم البنين زوج الوليد بن عبد الملك التي اشتهرت بالفصاحة والبلاغة وقوة الحجّة وبعد النظر، فكانت لها مكانة كبيرة وحظوة عند زوجها، فكانت تُستشار في كثير من أمور الدولة، وقد سجّل التاريخ معارضتها لسياسة الحجاج بن يوسف الثقفي وتصريحها بعدم رضاها[٣].

وفي ظل هذا التنوع الثقافي والاستقلال العلمي والإنتاج الفكري المتنوّع والنشاط الاجتماعي؛ قرّر الخليفة عبد الملك بن مروان تعزيز هذا التفوق الثقافي والاجتماعي ودعم هذه القوة من خلال إيصائه بسحب العملة الأجنبية البيزنطية والفارسية المستعملة، وسكَّ عوضًا عنها عملة جديدة مصنوعة من الذهب والفضة نقشت عليها بعض الآيات القرآنية[٤] لتتوالى بعدها معالم الحضارة والمؤسسات الإسلامية الفذّة في الظهور والتأسيس، كالبريد ونظام الشرطة، إذ أصبحت مؤسسة رسمية متعددة المهام[٥]، وتشييد السجون لأهل الجرائم وأصحاب الجنايات. هذه الصور وغيرها تبرز أن زمن التابعين مثل المجتمع الناضج فكريًا والمتمتع بكل مظاهر الأبهة.

---

(١) ينظر: بلاغات النساء، لابن أبي طاهر، ص (٣٧).

(٢) الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي، لعبد الشافي محمد عبد اللطيف وغيره، ص (٦٨٣).

(٣) مروج الذهب، للمسعودي (١٥٣/٢).

(٤) عبد الملك بن مروان والدولة الأموية، لمحمد ضياء الدين، ص (٢٥١).

(٥) نشأة وتطور جهاز الشرطة، لإسماعيل النقرش، ص (٣٣).

> **شهد عصر التابعين تحوّلاً مهمًّا وحاسمًا في تاريخ المجتمع والبيئة العربية بعد أن كان عصر صدر الإسلام ممهدًا له ومؤسسًا، فانتقل في جزء منه مِن مرحلة البداوة إلى مرحلة التحضّر، فوفدت إليهم وُفود حضاراتٍ عدّة وداخلتهم ثقافاتٌ متنوعة وعادات وتقاليد بلغتهم عن طريق التوسّع والفتوحات والامتداد الجغرافي**

وفي الختام:

إن التاريخ الإسلامي تاريخ حافل بالعصور المزدهرة التي تبوأت فيها الحضارة الإسلامية قمّة الحضارات الإنسانية، فكانت منارة علم وتقدّم للبشرية جميعًا، وكان عهد التابعين -وهم المشهود لهم بالفضل والخيرية بعد صحابة رسول الله ﷺ- أحد تلك العصور المزدهرة في الإسلام، حيث تميّز بالحراك الاجتماعي والنشاط العلمي والثقافي في الميادين التعليمية المتنوعة التي زخر بها هذا العصر وأفاد من فضلهم وغزارة علومهم، وهي حركة لم يتوقف أثرها على تميزٍ الحركة العلمية والاجتماعية في عصرهم فقط، بل كانت منطلقا للنهضة العلمية والحضارية في جلّ العصور التي تلته.

قراءة في كتاب: «إسلام السوق» لباتريك هايني

د. فاطمة علي عبُّود

دكتوراه في اللُّغة العربيّة وآدابها، عضوة في الجمعيّة السُّورية للعلوم الاجتماعيّة

تركنا رسول الله ﷺ على المحجَّة البيضاء، وأمرنا ربنا سبحانه وتعالى بالاستقامة؛ كما يُريد، لا كما نُريد، فالدِّين الإسلامي: عبادةٌ وانتماءٌ وهويّة، وليس طقوسًا أو أنماطًا تتحكّم فيها الماديات أو الثقافة الغالبة، ولا يمكن لهذا المجتمع أن يتفكَّك أو يضعف إلا في حال غياب هويته وضياع بوصلته واتّباعه سَنن الأمم الأخرى

وصف الكتاب:

يقع الكتاب في ٢٢٧ صفحة، وهو صادر عن مركز مدارات للأبحاث والنشر في القاهرة - مصر، ومن ترجمة أ. عومرية سلطاني.

الكاتب في سطور:

باتريك هايني باحثٌ سويسري في العلوم الاجتماعية، عمل في المركز الفرنسي للدراسات والوثائق الاقتصادية والقانونية والاجتماعية، وكانت أطروحته في الدكتوراه تدور حول المجتمع المصري والإسلاميين في ضاحية إمبابة الشعبية، وقد حاز بفضلها على جائزة أفضل أطروحة دكتوراه فرانكفونية حول العالم الإسلامي عام ٢٠٠١م، مستشار للعديد من المؤسسات والمنظمات الدولية.

مدخل إلى الكتاب:

تقوم فكرة الكتاب على رصد نمط جديد من التديُّن ضمن المجتمع الإسلامي بعد أن غزته مظاهر العولمة وقيم الرأسمالية والتي تركِّز على التفوُّق الفردي على حساب الجماعة، وعصرنة المفاهيم الإسلامية بما يتناسب مع متطلبات السوق الرأسمالية، وقد استحضر الكاتب العديد من الأمثلة لذلك، مقدِّمًا جانبًا من تحليل علم النفس والاجتماع المرتبط بالاقتصاد الإسلامي المعولم، من خلال جماعات الإخوان المسلمين ذات النشاط

الصفحة السابقة | الفهرس | الصفحة التالية

السياسي، والتجمعات السلفية ذات الطرح الأيديولوجي (الفكري)، والطرق الصوفية ذات التدين الشعبي[1].

لقد أدَّى هذا النمط من التدين إلى ظهور ما يمكن تسميته بـ «إسلام السوق» والذي يشكِّل بديلاً لما عُرف في الثقافة الإسلامية من تديُّن معتادٍ ضمن إطار الجماعة، إلى تديُّنٍ على النمط الأمريكي، تديُّنٍ يمثِّل أكثر من مجرَّد السؤال الهويًاتي إلى انفتاح ثقافي على العالم، تدين ذي صبغة «علمانية»، والذي بدأ يتوسع في النصف الثاني من تسعينيات القرن العشرين نتيجة أربعة نماذج:

- **الأول:** تبلْوُر حالة من التدين الفرداني أقلَّ نضالية، تخلت عن المشاريع الجماعية الكبرى في سبيل مشاريع شخصية يُهيمن عليها مبدأ تحقيق الذات والرفاهية، في مسار منفتح على تقاليع غربية، وترقيع للإسلام بتقاليد روحانية لًا تنتمي إليه.
- **الثاني:** التفاعل الجديد بين الديني والاقتصادي، من خلال إعادة صياغة الإسلام وفق مفردات جديدة كـ «تحقيق الذات» الذي يقدِّم المسلم الجديد نفسه فيه عبر الأداء والمنافسة لا الورع.
- **الثالث:** التأكيد على روح المؤسسة داخل المساحة الدينية بطريقة تنظيمية تسعى إلى التنمية الفردية، وبذلك تغيب مفاهيم الصراع والنضال لتحل محلها مفاهيم الطموح وبلوغ الهدف والنجاح والثروة.

(١) كما يشير الكاتب في ثنايا الكتاب إلى الجماعات التي يسميها «جهادية»، ويكاد يحصر المواجهة مع الغرب و«صراع الحضارات» بها!

» **الرابع:** تسييس الإسلام من قبل غير «الإسلامويين»[١]، لتجذير مفهوم السياسة البعيدة عن مفهوم إقامة الخلافة أو تطبيق الشريعة، لكن عن طريق بناء مجتمعات مدنية مزدهرة إلى جانب سائر الدول، خارج مفهوم صراع الحضارات، حيث يجد إسلام السوق موقعه إلى جانب أمريكا وفق خط التصدع الكبير للعالم المعاصر.

قد أثار الكتاب العديد من النقاشات بين موافق ومخالف ومنتقد، وفي هذه القراءة سنقتصر على تقديم الفكرة الأساسية منه.

إسلام السوق هو نمطٌ جديدٌ مِن التديُّن ضمن المجتمع الإسلامي، بعد أن غزته مظاهر العولمة وقيم الرأسمالية، يُركِّز على التفوُّق الفردي على حساب الجماعة، وعصرنة المفاهيم الإسلامية بما يتناسب مع متطلبات السوق الرأسمالية

الفصل ١: تجاوز «الإسلاموية»[٢]:

يؤكِّد الكاتب أن برجزة الأسلمة[٣] كانت السبب المباشر في تراجع السرديات «الإسلاموية» الكبرى كـ (الجهاد- الحجاب- الزكاة...)، كما أنها تتعلَّق بتغييرات كانت تجري على أرض الواقع، وهي:

(١) استخدم الكاتب هذا المصطلح في كل الكتاب، وأبقينا عليه دون أن يعني ذلك الإقرار أو الموافقة.

(٢) الإسلاموية: مصطلح يستخدم سياسيًا وإعلاميًا لتوصيف الحركات والجماعات التي تقدم الإسلام على أنه نظام متكامل للمجتمع، بما في ذلك السياسة والحكم، وعادة ما يطلقه المعارضون لهذه الحركات.

(٣) البرجزة: تداخل أسلوب الحياة البرجوازية مع بعض طبقات المجتمع الإسلامية.

التغيير الأول: نَزْع القداسة عن الالتزام التنظيميّ:

يرى الكاتب أن العلاقة بين التنظيمات «الإسلامويّة» والأفراد التابعين لها بدأت تتخلخل، نتيجة نوع العلاقة المفروضة التي تربط القيادات بالأفراد، فلم تعد الأوامر التي تقدِّمها القيادات مسلَّمًا بها، مما دفع بعض الناشطين إلى الانخراط في هياكل أخرى خارج هذه التنظيمات، ويستشهد الكاتب على ذلك باستشارة نفسية منشورة في موقع إسلام أونلاين[1]، حيث يشكو مناضل شاب للقيادي اللبناني «فتحي يكن» من التربية الإخوانية التي لا تهدف إلى تربية الفرد بل تهدف إلى إخضاعه فحسب، ويوافقه على ذلك فتحي يكن، على الرغم مما عُرف عنه من التزامه التنظيمي. ويضيف هايني الكثير من المقالات التابعة لموقع إسلام أونلاين والتي تؤكِّد فَقْد تلك الحركات لقداستها التي كانت تفرضها من خلال مبدأ الولاء والطاعة.

التغيير الثاني: مِخيالٌ[2] غير محدود:

يشير هايني إلى ظهور تيار آخر داخل الحركة الإسلامية يمثِّل التيار الناقم على عمل التنظيمات، ينأى بنفسه عنها دون أن يغادرها، لا يحلم بالمشاريع الكبرى أو تقديم بديل إسلامي بقدر ما يهتم باستيراد مكونات تنتمي إلى الثقافة الغربية، وإعادة صياغتها إسلاميًا، سعيًا للانفتاح، ورفضًا للانغلاق الهوياتي، ويدلل هايني على ذلك بمقالات منشورة على موقع إسلام أونلاين تظهر فيها السيولة التي أصابت سردية إسلامية كبرى مثل (الجهاد)؛ ففي الإجابة عن تساؤل أحد مستخدمي الإنترنت في قسم «مشاكل وحلول الشباب» فيما يمكن أن يفعله بعد اغتيال الشيخ أحمد ياسين يتمُّ إرشاده إلى

---

(١) موقع إسلام أونلاين هو أول موقع ويب عربي على الإنترنت يهتم بنشر الثقافة الإسلامية والتعريف بمبادئ الدين الإسلامي عبر معالجة عالم الأفكار والاهتمام بالعلوم وإصدارات الكتب.

(٢) عرَّف مترجم الكتاب المخيال بأنه: نتاج خيال الفرد أو الجماعة أو المجتمع ينتج عنها صور وحكايا وتمثلات تنفصل عن الواقع المعاش وإن انطلقت منه.

محاولة ضبط ارتباكه «بمزيد من التقوى والورع، والانضباط المهني، والتضامن الاجتماعي... سيقترح عليه محاوره ما يسمَّى جهاد النهضة»، وبعد ذلك تتمُّ إحالته إلى مجموعة من المقالات تتضمَّن محاولات تسعى إلى السيولة في مفهوم الجهاد ويعيد تعريفه بنوعٍ من العمل التطوعي والحركية الاجتماعية والجهاد الإلكترونيً الذي يدعو إلى تدمير المواقع المعادية للإسلام، وينسحب ذلك على مفهوم الحاكمية والخلافة والتي تتحوَّل إلى مفاهيم تنساق أيضًا وراء العلمنة والانفتاح الثقافي بعيدًا عن دلالتها الأصلية، ومنتزعةً من فضائها الطبيعي في الفقه الإسلامي.

التغيير الثالث: العودة إلى إيقاعات العالم:

يرى هايني أن المشهد الإسلامي يتعرض للتفكك من الداخل بسبب التوجهات ما بعد الحداثية والعلمانية التي يتبناها مناضلوه، ومن الخارج أيضًا حين توضع مضامين وشعارات الأسلمة على محك الواقع المعاش لدى هؤلاء.

تسعى الممارسات الدينية على المستوى اليومي إلى التوفيق الضمني بين الإسلام والغرب، في دعوة للتعايش والانفتاح الثقافي، ويقدِّم هايني مثالاً على ذلك (تحولات النشيد الإسلامي) حيث بدأ في الغرب بموسيقى مستوحاة من التراث الإسلامي كالمناجاة الصوفية أو الشعر الديني العربي الذي يتغنَّى بحب الله وبالإيمان، ثم تطوَّر إلى شكل يصالح بين الإسلام وبين الموسيقى والثقافة، وأصبح يشبه موسيقى الراب التي تعدُّ نوعًا من النقد المتشدِّد للحياة الاجتماعية، ومنه انبثق نوع من الموسيقى يسمى (الراب الإسلامي).

وفي العالم العربي شهد انعطافات مماثلة، فكانت الأناشيد مستوحاة من أدب الغربة الذي يمجِّد الجهاد والشهيد ويشحذ الإيمان في مجتمع لم يعد في تصوُّرهم مسلمًا، ولم يكن النشيد

آنذاك مصحوبًا بالآلات الموسيقية المخالفة للشرع، لكنَّ ذلك سيتغيَّر فيما بعد بسبب المهرجانات التي أقيمت في عدد من البلدان العربية، حيث ترافقت الأناشيد الحماسية مع بعض الآلات الموسيقية. أما مضامين هذه الأناشيد فقد تحولت إلى الحب والسعادة والشعر، مبتعدة عن الشعارات النضالية السابقة، ليظهر أخيرًا ما يسمى بـ (النشيد ما بعد الإسلامي) الداعي للسلام الداخلي والمنفتح على العالم والعابر للثقافات.

التغير الرابع: استهلاكية الحشمة الإسلامية:

يشير هايني إلى أن الحجاب ارتبط في بداياته بتجربة الإسلام السياسي[1] الذي يبتعد عن الموضة التي يعتبرها حالة من الاغتراب الثقافي والتبذير والإغراء، لينتقل الحجاب إلى الارتباط بالسوق الاستهلاكي الذي يوفِّق بين تأكيد الهوية والانفتاح الثقافي. في الجيل الأول لم يكن الحجاب استجابة لطلب السوق، فالنقاب الذي يخفي الوجه كان النمط السائد آنذاك، ثم تلته مرحلة استجاب فيه الحجاب لمتطلبات السوق المرتبطة بالعلامات التجارية، مما شكل حالة استفزاز واجهتها الصحافة «الإسلاموية» بالتوعية من السوق الاستهلاكي الذي يهدِّد نمط الحياة الإسلامية، فيما كانت دور الأزياء في مصر وتركيا ترى أنَّ هذا النمط من الحجاب يحقِّق هدفًا مزدوجًا أخلاقيًا وهوياتيًا بعيدًا عن «الإسلاموية»، أما الجيل الثاني أو «ما بعد الإسلامي» الخالي من السياسة والمنفتح على التأثيرات الأجنبية كان ما يزال ملتزمًا بالحشمة الإسلامية، ومع ظهور الجيل الثالث ينعتق الحجاب من مسألة المعيار الديني، ولا يعيره أيَّ اهتمام.

(١) ربط المؤلف لمظاهر التدين والعديد من المطالبات الشرعية كالحكم بالشريعة ونحوها بملفات سياسية هو من أبرز ما يوجه للكتاب من نقد ومعارضة.

> تعرض الحجاب لسلسلة من التغييرات المرتبطة بالسوق الاستهلاكي، فتدرج من أصله البعيد عن الموضة إلى شيء من الانفتاح مع تأكيد الهوية، وتلاه نمط الحجاب المرتبط بالعلامات التجارية الذي يترفَّع عن التقليد، ثم جاء جيلٌ خالٍ من مواصفات الحجاب الأصلية لكن مع بقاء الحشمة العامة، وأخيراً حصل نوع من انعتاق الحجاب من مسألة المعيار الديني مطلقًا عند كثيرين

التغيير الخامس: زمن الدعوة العصرية:

يذهب الكاتب إلى أن إسلام الغد منفصلٌ عن الإسلام السياسي، ويترافق ذلك مع ظهور عدد من الدعاة الجدد، تتداخل لديهم البرجزة مع نمط الحياة الإسلامية، ويقدم هايني شخصيتين للتدليل على ذلك، وهما: عبدالله جمنستيار في جنوب آسيا، وعمرو خالد في العالم العربي، وقد اجتذب كلٌّ منهما عددًا كبيرًا من المؤيدين خلال فترة قصيرة من خلال تقديم نمط ديني خاضع للتطبيع البعيد كل البعد عن الإسلام السياسي، يظهر الداعيتان بمظهر شبابي جذاب بلحية حليقة وملابس عادية ومريحة، ولهجة بعيدة عن الفصحى ومظهر رياضي، وقدرة على التعامل مع وسائل الإعلام الجماهيري، وإتقان لفن الإقناع وإثارة الإعجاب، ويبدو أنهما استخدما أساليب المبشرين الإنجيليين، في الابتعاد عن الترهيب بالعقاب الرباني للترغيب بمحبة الله كما يقول عمرو خالد: «كفانا إخلاصًا لله خوفًا منه» متخلِّصين من حدَّة الدعاة التقليديين ومبتعدين عن التسييس، ومن هنا كانت دعوتهما لتأسيسٍ جديدٍ للفرد بعد أن أصيب بخيبة الأمل السياسي ليحقِّق ذاته في العالم الإسلامي الجديد.

إنَّ المشهد الإسلامي يتعرَّض للتفكك من الداخل بسبب التوجُّهات ما بعد الحداثية والعلمانية التي يتبنَّاها مناضلوه، ومن الخارج أيضًا حين تُوضع مضامين وشعارات الأسلمة على محكِّ الواقع المعاش لدى هؤلاء.

الفصل ٢: تديُّنٌ تحرِّكه قوى السوق:

كان السوق البعيد عن تحكُّم الحركات السياسية والمؤسسات الدينية في رأي هايني وسيلة الذين خاب أملهم بالخطاب «الإسلاموي»، لخلق توجُّه اقتصادي جديد يحقق فائدتين أيديولوجيتين:

- جذب تيار محافظ غير متشدد.
- جذب جمهور غير مسلم.

مما سيعيد «صياغة المسألة الهوياتية خارج إطار الإشكالية الكلاسيكية للإسلاموية».

عندما يمرُّ التديُّن عبر الثقافة الجماهيرية:

يقدِّم الإسلاميون الناقمون -كما يدَّعي هايني- منتجاتهم ذات التوجُّه الأيديولوجي بأساليب مبتكرة تنافس ما كان يقدِّمه الإسلاميون السابقون، فمثلاً: الأشرطة الصوتية الدينية التي ينتجها السلفيون كانت سابقًا تحمل طابع التقشف، أما في شركة سندباد التي أنشأها أحد التجَّار بالشراكة مع عمرو خالد فسنجد نوعًا من الاحترافية من حيث الاعتناء بالغلاف والموضوعات التي غالبًا ما تدور حول السلام الداخلي والتوازن الروحي؛ لتكوين توجُّه ديني جديد، مما أدَّى إلى اكتساح هذه المنتجات الحياة الاجتماعية من خلال الثقافة الجماهيرية التي أصبحت تنفر من المحتوى الكلاسيكي وتنجذب إلى محتوى أكثرَ جاذبية، يتيح للثقافة العلمانية التحكُّم بالهوية الإسلامية الجديدة، واستبعاد السرديات الكبرى، لتحلّ محلّها موضوعات

بديلة، ثم يتم الاستغناء عنها لاحقًا. وهذا ما حوَّل الإسلام إلى مجرَّد منتج يقدَّم للمستهلكين، الغاية الأساسية فيه هي الربح.

السلفية: عالم الأعمال والهجرة البرجوازية:

يشير الكاتب إلى أن الرغبة في مَوضَعَة التأكيد الهوياتي في فضاءات الثقافة الجماهيرية امتدت إلى التيارات السلفية المعروفة أنها الأكثر رفضًا لفكرة تطبيع الهوية الإسلامية، فقد دفعت صعوبات الوصول إلى سوق العمل المنتظم إلى تطوير نشاطات مستقلة؛ ولا سيما أن المسلمين يمثِّلون «أقلية ذات قدرةٍ شرائيةٍ كبيرة». بدأت أعمال هؤلاء من خلال تجارة صغيرة فيما يسمَّى (السوق الحلال) مثل التجارة بالثياب وأجهزة الهواتف، وبعد وصولهم إلى الثراء تحوَّلوا إلى التفكير بـ (الهجرة البرجوازية) ليس الغاية منها الشهادة بل البقاء على قيد الحياة وممارسة التجارة، وغالبًا ما تكون هذه الهجرة إلى بلاد الخليج؛ بلاد المستقبل والمشاريع الكبيرة، وبذلك تكون هذه الهجرة ضمن سلسلة العولمة الاقتصادية التي تركِّز على التنمية الفردانية في ظلِّ رسم معالم الهوية الإسلامية الجديدة.

تشفير الهوية الدينية:

بدأت الهوية الإسلامية تندمج بالفضاء العالمي، مما جعلها -كما يذهب الكاتب- أكثر عرضة للاختراق، مما يؤدي للقطيعة مع المخيال السلفي، ذلك أن منطق إسلام السوق الجديد يفرض أحد الاحتمالين، الأول: إضعاف البعد الديني لتوسيع نطاق الزبائن المحتملين من خارج المسلمين وتعظيم المبيعات، الثاني: التطلع إلى الخطاب الأخلاقي بديلاً عن الخطاب الديني لجذب الزبائن غير المسلمين مما يؤدي إلى تخفيف درجة المكونات الدينية في المنتج، مما يعني ارتباط إشكالية الهوية الإسلامية بالعلامة التجارية وابتعادها عن المفهوم الديني، وعلى سبيل المثال فإن شركة (دعوة وير) تحاول التخلُّص من مشكلة تحييد

المفهوم الديني لكلمة (Dawah) من خلال تفسيرها بمعنى النداء، وهو نداء لا يتوجَّه إلى المسلمين فقط ولكن للعالم كله، متجاوزة معايير الجنسية أو الإثنية.

> الفكرة المركزية التي يدور حولها التوجه الإسلامي الجديد هي تحويل الفرد المسلم من المسلم المحارِب لتحقيق التمكين السياسي، إلى المسلم المتشبِّث بالنجاح والذي لا يمرُّ عبر المطالبة السياسية، ولكن عبر الأداء الاقتصادي

في معنى الحد الأدنى من السياسة الأخلاقية:

تتم تصفية المفاهيم الإسلامية من محتواها الديني لتتجه نحو العالمية العلمانية، ويضرب هايني مثالاً على ذلك بالموسيقى حيث تتصالح الإيقاعات الجديدة مع العالم، وتدخل منطق الاستهلاك، بحيث يصبح الهدف الأقصى إثارة الإعجاب وليس فرض حقيقة مستقلة من الخارج.

فأعضاء فرقة (الندى) مثلاً صرحوا بأنهم سيطلقون أغان ذات طابع إنساني لا تخصُّ المسلمين فقط، نازعة طابع الأسلمةً عن نتاجهم الموسيقي، وبذلك تصبح العلاقة بين الأسلمة والعلمنة متقاطعة، ذلك لأنه كلما برزت العوامل الدينية في المنتج تقلَّص الجمهور أو المستهلك والعكس بالعكس، وعندها تصبح الأخلاقية هي المعيار بدل الديني «فالأخلاقية تتشكل عند الحد الأدنى من الإسلامية والحرص على احترام المعايير الدينية» ومن ذلك أيضًا تخصيص شركات مثل (زمزم كولا) الإيرانية، و(قِبلة كولا) الإنكليزية جزءًا من أرباحها لصناديق التضامن والأعمال الخيرية وذلك لتكون أكثر جاذبية أخلاقيًا

لأكبر شريحة من الجماهير المسلمة وغير المسلمة، وبذلك يتم إعادة موضعة الإسلام وفق منطق علماني متوافق مع تعاليم الأخلاق الإسلامية.

فخر المتشبِّثين بالنجاح:

يرى هاينى أن الفكرة المهمة التى يدور حولها التوجه الإسلامي الجديد هي تحويل الفرد المسلم من المسلم المحارِب إلى المسلم المتشبِّث بالنجاح والذي لا يمرُّ عبر المطالبة السياسية، ولكن عبر الأداء الاقتصادي، فأصبح همُّ الشركات الإسلامية إثبات قدرة النموذج المسلم على إنتاج أشياء نوعية بعيدة عن النمطية، وأنهم لا يقلون ذكاء عن الفرنسيين، ويتحولون من الاستهلاك إلى الإنتاج. ولتكوين شخصية الفرد المسلم الناجح يقدِّم عمرو خالد (المعايير الأخلاقية للعمل) التي تقود المسلم إلى النجاح الفرداني من خلال الجهد والمثابرة والتفكير الإيجابي وروح المبادرة.

الفصل ٣: إسلام السوق؛ حركة إصلاح للذات الدينية:

يشير الكاتب إلى أنه بعد تحقيق النجاح الفرداني للمسلم الفعَّال اقتصاديًا وغير المنخرط سياسيًا أصبح المجتمع الإسلامي الجديد منفتحًا على البرجوازية، تتصاعد روح التنافسية فيه مع الأمم من خلال «نفث روح رأسمالية داخل الأمة» لمواجهة «الإسلاموية» الكلاسيكية ذات الطابع المحلي.

عندما تفرض البرجوازية منطقها:

ظهر إسلام السوق كما يدَّعي هايني بدافع من الطبقات البرجوازية التي ظهرت في العالم الإسلامي، والتي تتكوَّن من دعاة وجمعيات ورجال أعمال ومثقفين لا ينتمون للحركة الإسلامية وغيرهم ممن جعلوا شعاراتهم تدور حول التقوى والثروة والعالمية بعيدًا عن العدالة الاجتماعية والتقشُّف، وغير

أبرز التغييرات التي جرت في واقع التدين الجديد:

تراجع الانضباط التنظيمي داخل التيارات الإسلامية، وتنامي التحرر من قيودها وضوابطها

تراجع الاهتمام بالمشاريع الإسلامية الكبرى، لصالح مكونات تنتمي للحضارة الغربية وإعادة صياغتها إسلاميًا.

التوسع في الأناشيد وتغير المضامين إلى معاني حب الحياة والنجاح، إلى جانب دخول الموسيقا والإيقاعات العالمية عليها

تدرج الحجاب من شكله المحافظ إلى أنماط تجارية جذابة وعصرية، وتخفف شيئًا فشيئًا إلى درجة ظهور جيل يخرج الحجاب من المعيار الديني مطلقًا

ظهور جيل جديد من الدعاة بعيد عن الطرح الأممي للفكر الإسلامي، بمظهر شبابي جذاب، متخلِّصين من حدّة الدعاة التقليديين ومبتعدين عن التسييس

ذلك مما ينتمي للتقاليد الإسلامية، ولهذا كانت هناك مشكلة بين مفهوم إسلام السوق وبين الفقر الذي يعدُّ مصدرًا للكثير من الشرور ويعبِّر عن الكسل وقلة الحيلة على عكس الغنى، فعلى سبيل المثال مطعم (دلروبا) الفاخر في إسطنبول ذو الديكور القديم المليء بالرموز الصوفية والعثمانية لا يستهدف الشعبيين من الزبائن، بل يقوم على استراتيجية نخبوية، وبذلك يعكس مفهوم إسلام السوق الذي يعمِّق التفاوت الطبقي في المجتمعات الإسلامية.

ويصبح «الإسلامويون» الجدد لا يتكلمون عن العدالة الاجتماعية، بل مطالبهم تتلخص في أن يصبحوا أغنياء ليكونوا إسلاميين جدد.

لاهوت النجاح:

يوزِّع هايني لاهوت النجاح على مجموعة من الفاعلين المسؤولين عن تشجيع إسلام السوق مثل الدعاة العصريين،

والإسلاميين الناقمين، وبذلك يصبح معيار المواجهة مع الغرب هو الاقتصادي وليس السياسي، فمثلاً نجد الداعية (الأخ جيم) في خطاب متحمِّس يشير إلى أن الإسلام يدعو المسلم أن يكون غنيًا، ويقدِّم النبي ﷺ نموذجًا للمسلم التاجر الغني قائلاً: «لا بدَّ أن تتذكَّروا أن الرسول ﷺ كان رجل أعمال، بل أفضل رجل أعمال» فالمسلم الغني يمكن أن يكون نموذجًا يحتذى به عندما يكون سخيًا ومنفقًا في سبيل الله، وليس من الضروري أن يكون ذا منصب سياسي، بالإضافة إلى أنه أكثر حضورًا وتأثيرًا بين الناس، وبالتالي سيكون المال «مجالاً لاستعادة الكبرياء وعلامة على تحقُّق الاختيار الإلهي» والنجاح.

القطع مع الذهنية الاستسلامية:

يشير الكاتب إلى وجود عقبة مؤصلة دينيًا تقف في وجه تحقيق الفردانية، وهي عجز المرء عن التحكم بمصيره، أو اختياره، وهي ما أسماه بالجبرية، وأنه لا بدَّ من القضاء على هذه العقبة من خلال تغيير الفلسفة التقليدية بالقضاء على السند الديني لهذه العقلية، ونشر التدين النشيط الذي يحلم به أنصار إسلام السوق.

ومن هنا تأتي أهمية التصميم والثقة بالنفس داخل خطاب إسلام السوق، كما يفعل عمرو خالد في برنامجه «صناعة الحياة»، وكما فعلت منظمة موصياد[1] في تركيا بتغيير الفلسفة التقليدية التي تقرن الفضيلة بالزهد، والتي تمثلها مقولة (بير لقمة بير خرقة)[2]، ويرى عمرو خالد أن الصبر ليس فقط في إطار الواجبات الدينية، بل في النشاطات الإنتاجية، وهذا ما لم

(١) تأسست في مدينة إسطنبول في ١٩٩٠م من قبل رجال أعمال أتراك مؤمنين بضرورة انفتاح بلادهم على السوق العالمي، وتهدف الجمعية إلى تشجيع رجال الأعمال الأتراك على توسيع أعمالهم خارج تركيا، إضافة إلى توفير الفرص لتطوير أنفسهم وتأسيس الشراكات مع المنظمات الدولية.

(٢) Bir lokma Bir hirka: مقولة منتشر بين الزهَّاد وتعني: يكفي الناس أن يأكلوا ما يكفيهم فقط لملء بطونهم وأن يلبسوا ما يكفيهم من الملابس التي تقيهم من البرد أو الحر.

يكن من ضمن أولويات الدعوات السلفية، لذلك كان لا بدَّ من الإصلاح عبر مفاهيم جديدة تحقِّق الذات الفردانية وتجدِّد المعتقدات والقيم.

> **من مظاهر «إسلام السوق» قيام بعض الدعاة العصريين والإسلاميين الناقمين بالتشجيع الكبير على خوض التجارة وامتلاك المال وتحقيق النجاح المادي، وبذلك يصبح معيار المواجهة مع الغرب هو الميدان الاقتصادي وليس السياسي**

الطوبيا الإدارية الجديدة:

انتقل عدد من «الإسلامويين» العرب في بداية الثمانينات للدراسة في الولايات المتحدة، وعادوا بالفكر الإداري المنتشر في كليات الاقتصاد في أمريكا، وتزامن ذلك مع طرد الإسلاميين الفلسطينيين والعراقيين من الكويت بعد حرب الخليج، ووجدوا ملجأ لهم في الأردن حيث بدأت محاولاتهم لتحديث الثقافة الإدارية لخدمة قضيتهم وتطوير كوادرهم، وأصدروا عدة كتب مثل (صناعة الحياة) لمحمد أحمد الراشد، و(دليل التكوين القيادي) لهشام الطالب.

وفي مصر بعد تقويض المشروع السياسي ظهرت منتجات سدت الفجوة بين الالتزام «الإسلاموي» والفكر الإداري، فأسهمت كتب الشيخ يوسف القرضاوي وخاصة (العبادات في الإسلام)، ومحمد الغزالي في كتابه (جدِّد حياتك)، في بلورة تصور عن التدين لا يرتبط فقط باحترام الواجبات الدينية والانضباط داخل الحركة، ثم شقت الطريق وتضاعفت مراكز

«المنجمنت Management»[١] في مصر التي افتتحها جيل من الشباب ممن ابتعدوا عن خطاب الحركة الإسلامية، وتبنَّوا الفكر الإداري وتنمية الفرد، وفي دول الخليج كان طارق السويدان أفضل من يمثِّل «الجمع بين الدعوة وبين إصلاح الذات بالاعتماد على أدبيات التحقُّق الذاتي الأمريكية». وفي جنوب شرق آسيا كان التحقُّق الذاتى يفرض نفسه كيوتوبيا[٢] بديلة للخطاب «الإسلاموي» الكلاسيكي، ونما على يد طبقة التجار المسلمين في صراعهم مع الأقلية الصينية التي كان لها نفوذ واسع بدأ بالتقلُّص فيما بعد، لتبدأ رؤية جديدة منفصلة عن «الإسلاموية» قدَّمها عماد الدين عبد الرحيم بعد حصوله على الدكتوراه في الموارد البشرية من أمريكا. وفي تركيا ساهم «الإسلامويون» الناقمون الأتراك في تكوين خطاب جديد، حيث قاد تورغوت أوزال السياسة الاقتصادية منذ قدومه للسلطة، وبعد ذلك ظهر (نمور الأناضول) ونجحوا في وضع الدين في خدمة ديناميكية اقتصادية حقيقية، حيث لم يعد مثلهم الأعلى هو التقوى، بل العمل، جامعين بين الهاجس الأخلاقي والمشروع الإصلاحي.

الفصل ٤: فاعلون لتحجيم الدولة:

يذهب هايني إلى أنه على الرغم من أن إسلام السوق ينتقد الإسلام السياسي الكلاسيكي إلا أنه أيضًا يشكِّل مشهدًا دينيًا -سياسيًا جديدًا، فقد ظهر نمط «المؤسسة الصغيرة» التي تتمُّ إدارتها عن طريق مجموعات غير سياسية.

(١) يتعلَّق المنجمنت بمجموع التقنيات التي ترتبط بتنظيم الموارد المتاحة لإدارة مؤسسة ما، ويقع على رأسها فن تسيير العامل البشري بهدف تحسين الأداء والوصول إلى أفضل نتائج.

(٢) يوتوبيا أو الطُوبَاوِيّة أو المِثَالِيّة: هي الفلسفات التي يتخيل فيها الكاتب الحياة في مجتمع مثالي يزخَر بأسباب الراحة والسعادة لكل بني البشر، لا وجود له في الحقيقة.

من أهم سمات الدعاة الجدد اعتناق الفكر الإداري وتنمية الفرد، في تصوُّر لا يرتبط فقط باحترام الواجبات الدينية والانضباط داخل الحركة، بل يجمع بين الدعوة وإصلاح الذات بالاعتماد على أدبيات التحقُّق الذاتي الأمريكية، فلم يعد مَثَلُهم الأعلى هو التقوى، بل العمل، جامعين بين الهاجس الأخلاقي والمشروع الإصلاحي

الإسلام بالمشاريع:

يؤكِّد الكاتب أن نموذج «المؤسسة الصغيرة» أصبح مفروضًا في الواقع الجديد، ويمكن أن يكون برنامج الداعية عمرو خالد في مصر أفضل مثال على ذلك، حيث يقوم برنامجه على الدعوة إلى العمل، والإصلاح الذي يبدأ من الفرد ويدفعه نحو النجاح بعيدًا عن الخضوع كما كان سائدًا، ويتحوَّل برنامجه إلى عمل تنفيذي كحملة مكافحة المخدرات وزراعة الأسطح وغيرها والتي امتدت على مساحات واسعة وشملت عددًا كبيرًا من الأفراد المشاركين في تلك الحملات، حيث ينافس موقع الداعية عمرو خالد موقع قناة الجزيرة كأول موقع عربي، وهذا هو بالضبط منطق المؤسسة المنسجم مع مبادئ المنجنمت، فهي ليست مظهرًا لإسلام سياسي جديد، بل هي نقيضة له تمامًا؛ لأنها تفضل الشعور بالاستقلالية والأمان، إن هذا النمط يسهم في تكوين طبقات اجتماعية مندمجة مع العولمة مع الشعور بالاستقلال النسبي ضمن فضاء الدولة، أي حالة من البرجزة التي تضمن لأصحابها الذين لا يهتمون بالسياسة الثروة الفاضلة.

أيديولوجيا للتكيف:

يحاول إسلام السوق -كما يرى الكاتب- التخفيف من أعباء الدولة من خلال انتزاع بعض المهمات، واكتساب بعض الصلاحيات منها، وهذا ما فعله حزب الوسط الجديد في مصر، ونجح في تهميش الإسلام السياسي الكلاسيكي، من خلال خطابهم النيوليبرالي[1] العلماني، فهذا الحزب لا يستند إلى مرجعية دينية، ومع ذلك فإنه يكافح القيم السلبية مثل النفاق والكذب والفساد، وبذلك تتحوَّل بعض المفاهيم إلى منحى آخر، فالزكاة تصبح ضريبة دينية إجبارية، والصدقة منحة دينية تطوعية، لأن مفهوم الحرية الذي ينطلقون منه هو الانعتاق من وصايا الدولة، والاحتكام إلى إدارة لا مركزية يقودها السوق والمشاريع الرعائية التي تهتم بالمشاكل الاجتماعية والاقتصادية لا بالمسائل الدينية.

إجماع الأتقياء:

يرى هايني أن ضغوط الأجيال الشابة على العلماء والحرس القديم ستزداد مستقبلاً تحت الغطاء الديمقراطي لتقليص البنى السياسية، وتخفيف أسلوب عملها، وتليين هرميتها، مما يجعل أدبيات «المنجمنت» الأمريكية مرحبًا بها، وسيحدث التقاء فكري وعملي بين من كانوا أعداء الأمس لأجل الدفاع عن تأسيس مجتمع مدني متدين تسير فيه الجماعات الدينية والقطاع الخاص وفق منطق السوق، يقترب من التيار الإنساني الأمريكي وتجسُّداته السياسية.

وضرب على ذلك أمثلة عديدة لمشاريع تعليمية ومستشفيات ومرافق عامة في عدد من البلدان (مصر – السودان - تركيا) قام بها إسلاميون في خدمة المجتمع، وبتوظيف لأموال الزكاة في تلك المشاريع.

(١) «الليبرالية الجديدة» مصطلح ظهر للمرة الأولى في نهايات القرن الـ١٩، ويشير إلى فلسفة اقتصادية تدعم رأسمالية السوق الحرة والحد من تدخل الدولة في الاقتصاد.

> ضمن ظاهرة إسلام السوق: ستزداد ضغوط الأجيال الشابة على العلماء والحرس القديم مستقبلاً تحت الغطاء الديمقراطي لتقليص البنى السياسية وتخفيف أسلوب عملها، وسيحدث التقاء فكري وعملي بين من كانوا أعداء الأمس لأجل الدفاع عن تأسيس مجتمعٍ مدني متديِّن تسير فيه الجماعات الدينية والقطاع الخاص وفق منطق السوق، يقترب من التيار الإنساني الأمريكي وتجسُّداته السياسية

خاتمة: محور الفضيلة:

بدت أمريكا متفردة مقارنة بالقارة العجوز، وظهر فيها وكلاء يقودون حركة الأسلمة، مرتبطين على نحو ضعيف «بالإسلاموية» لبناء مجتمع مدني أكثر استقلالية وأخلاقية، يتم فيه القضاء على فكرة الجبرية (عجز المرء عن التحكم بمصيره أو اختياره)، وحث الأغنياء على الأعمال الخيرية، إذ لا بدَّ من الانعتاق من المنطق «الإسلاموي» الكلاسيكي وبرجزة القيم الإسلامية وفق قوانين إسلام السوق، يدين هؤلاء الفقر المرتبط مباشرة بالبطالة والانحلال الأخلاقي، بل يرونه الدافع الأساسي باتجاه الذنوب، ويشجعون العمل والتميز الفردي والنجاح، ويتعاملون مع الدين تعاملاً أخلاقيًا وحسب، وقد كانت هذه العلمانية الأمريكية مصدر إعجاب لوزير الخارجية التركي الأسبق عبدالله غول، بل صرح أنه يشجع مثل هذه السياسة، وباتت رؤية جديدة تلوح في الأفق وهي دفع العالم العربي والإسلامي إلى بناء دولته الجديدة بعيدًا عن الإسلام السياسي الذي لم يكن يروق لأمريكا ويشكِّل تهديدًا لها، ويبدو أن التاريخ يؤكد هذه الحرب الفلسفية التي بدأت ملامحها تلوح في الأفق كما يدَّعي الكاتب والكتاب.

ستنتصر غزة

أ. رغداء الطباع

كنت واقفة أتأمل هذا العالم الغريب.. فوقفت أُمعن النظر وتدور الأفكار في مخيلتي.. أتساءل: ترى لماذا باتت بلادنا نهبًا بيد الظالمين، ترى لماذا انتُهكت حرماتها وهي أرض الانتصارات والفتوحات!! أبكل تلك الفتوحات التي كانت وبكل قوة العرب التي أمست تكون عاقبة أرض العرب وفسطاط المسلمين؟!، تلك الأرض التي أسرى الله إليها بنبيه ثم عرج به منها إلى سمائه السابعة، هي الأرض التي تجمع فيها أنبياء الله أطهر البشر.

أوَلا يحق لنا أن نذرف أدمعنا دمًا على أرواح الشهداء الراحلين؟! بل على الأمهات الثكالى اللاتي يقفن أمام جثامين أطفالهنّ وقد صدأت قلوبهن وأضرمت ألمًا وحزنًا، أوَليس الله مجازيًا أولئك المتخاذلين على جبنهم، أو محاسبًا هؤلاء الظالمين على جرمهم؟، فأين العرب والمسلمون الصادقون؟ ألم تسمعوا صرخات غزة تناديكم؟ أم أن الدنيا قد أغفلتكم عن نصرة إخوانكم. غزة تناديكم وقد أسمعت صرخاتها كل العالم بأسره!! ألم يبق في العرب من ينصر هذه الأرض الطاهرة «فلسطين».

ولكن النصر حتمًا سيأتي ولو تخفى الضياء وراء ستور الظلام فإن وعد الله حق، وستنتصر غزة، وسيعود الضياء لتشرق الأمة ويعود إليها السلام.

هيمنة التفاهة

أ. محمود طعمة

أتساءل: هل أصبحت الأمور الهادفة جافة ومملة لدرجة أننا أزحناها إلى الهامش؟! ومنذ متى أصبح التافهون والرويبضة روادًا على شبكة الإنترنت، يستلمون الجوائز، وتقام لهم الحفلات، وتتابع أخبارهم عبر القنوات؟، نتابع ونتصفح يوميًا في حياتنا مقاطع بلا هدف أو معنى حرفيًا.

والأسوأ من ذلك: تسلُّمُهم منابر فيها عشرات ومئات آلاف المتابعين وربما الملايين، وحديثهم عن سفاسف الأمور والتفاهات والترهات التي لا يمكن لعاقل أن يصبر عليها لثوان محدودة، وعرض أجسادهم بطريقة غير لائقة، حتى إذا أردنا الترفّع عنهم ظهروا لنا في الإعلانات.

إن مستوى المحتوى التافه الذي ينتجونه يتخطى كل الحدود المقبولة، والمشكلة الأكبر أن الإنترنت أصبح مجتمعًا يقضي فيه أبناؤنا من الأطفال والمراهقين أوقاتًا طويلة، في الوقت الذي يحتاج فيه معظمهم إلى بناء شخصيتهم بالتعلم أو بالتربية، وتقليد التافهين هو عامل الخطر الذي يحيط بأبنائنا. لقد صار الطفل اليوم يستمد بناء شخصيته من الهاتف دون رقيب أو حسيب عليه، وقد جرّت هذه الهواتف مشكلات كبيرة يعاني منها أطفالنا اليوم، وليس أمامنا إلا تقنين استخدامهم لها إلى جانب توعيتهم المستمرة ودمجهم في برامج علمية وتربوية جادة.

حرية مقيدة

أ. ضحى عرفات

ولد الزمان شقيقتين: الأولى تدعى سوريا والأخرى فلسطين، كانتا من أجمل أبناء الزمان، وذات يوم جاء غراب أسود افتتن بجمال فلسطين وظل يحاول فيها حتى تمكن منها، لكن أبناءها لم يستسلموا، وحاولوا أن يحرروا والدتهم من طغيان ذلك الغراب الذي بدأ يقاومهم في شراسة ويمزق أرواحهم دون رحمة، وكل من حولها يشاهد ما يحدث دون أن تتحرك مشاعرهم تجاه المشهد المحزن المبكي الذي لو رأته الحجارة لبكت من شدة الألم، وكأنهم يشاهدون مسلسلاً دراميًا ويا ليته كذلك، فتعرف أنه ينتهي ويبقى ذكرى موجعة وليس واقعًا حقيقيًا.

وأما سوريا فقد كان تسلط عليها ولد عاق، حاول خنقها من أجل كرسي الحكم إرضاءً لأعدائها، وانقسم أبناؤها فريقين: منهم من ساند ذلك العاق، ومنهم من دافع عن أمه، وحين نادوا «حرية» بدأ بقمعهم وقتلهم بلا هوادة، وجعل منهم أشلاء مبعثرة وطيورًا مكبلة، وما زال الأحرار في فلسطين وسوريا يتطلعون إلى نسمات الحرية وطوفان التحرير هنا وهناك.

الثورة فكرة والفكرة لا تموت، والحرية قرار والقرار لا يهدم.

مشاعل من نور

أ. هبة عدنان رمضان

زفراتٌ وآهاتٌ تكاد تتقطَّع حُزنًا وغصة.. قلوبٌ ثكلى تُرسل أحزانها تترى مع الغيوم الرمادية.. تصبح ولا تكاد تمسي، عيون تدمع وقلوب ترقب.. ثوان تمر كأنها أيام.. وهدير المدافع يكمل الصورة الوحشية. وجوه علاها غبار الخذلان، وملأتها دماء التقاعس، ومزقتها أنياب التجاهل. أطفال لا ذنب لهم إلا الهوية والجنسية، ترتعش أناملهم خوفًا وبردًا لا يدرون ما القضية، وما جرم هذه الجثث المرمية؟ وطفل يمسك وجبته الأخيرة مودعًا بها هذه الدنيا الدنية.

لا تحزن يا صغيري؛ ستعود وجبتك زقومًا على هذه الوحوش البشرية. فما إدلب العزة، وغزة الصمود، ومن قبلهما غوطتنا الشرقية.. إلا مصانع لرجال سيعيدون رسم الخريطة الجغرافية، وما دموع أطفالهم وأنين جرحاهم إلا نار ستشعل لهيب العزة والكرامة في عروقنا الأبية. مهما تغير قناع المجرم وبدل زيه وأسماءه، فإن الجرم واحد والمستهدف واحد.

لقد آذوك يا غزة كما آذونا وخذلوك كما خذلونا، وجرحنا واحد ودماؤنا واحدة، ومهما فعلوا فإن دماءنا وأقلامنا لن تبخل في نصرتك، وسيسطر التاريخ أسمى معاني البطولة والحمية، وسنكون مشاعل من نور تضيء ظلام الظلم والوحشية، بأنوار سرمدية تعيد مجد أمتنا الأبية.

ذَلِكَ الفَوزُ الكَبير

د. خير الله طالب

بعث النبي ﷺ عددًا من أصحابه لدعوة بعض القبائل، فغدروا بقائد المجموعة، فقال الصحابي المطعون: (الله أكبر، فزت ورب الكعبة)، فأسلم قاتله تأثرًا بكلمته العفوية الصادقة، رضي الله عنهما[1].

هكذا رباه القرآن المجيد بقصة أصحاب الأخدود الذين أُحرقوا بالنار لإيمانهم، فحكم الله بفوزهم فوزًا كبيرًا لم يرد ذكره إلا في سورة البروج التي تذكرنا بفوز الغلام المؤمن الذي كان سببًا في إسلام أصحاب الأخدود[2] الذين آمنوا برب الغلام، وصبروا على الحريق محتسبين أنهم على الحق.

المتاجرون مع الله تعالى تعلّمهم سورة الصف أن صفقتهم أخروية، فتجارتهم إيمان وجهاد بالمال والنفس، تنجيهم من عذاب أليم، يغفر الله بها ذنوبهم، ويدخلهم بها جنات تجري من تحتها الأنهار، ومساكن طيبة في جنات عدن: ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الصف: ١٢]. مكسبهم فوز أخروي يمثل انتصارًا أبديًا سرمديًا، مع دوام استبشارهم العاجل بـنصر من الله وفتح قريب. وهذا هو الظن بدوافع طوفان الأقصى[3] الذي ابتهج له المسلمون.

الفوز في القرآن يدور حول الزحزحة عن النار، ودخول رحمة الله الجنة، ونيل رضوان الكريم. أما المنافق فلا يرى

---

(١) القصة في صحيح البخاري (٢٨٠١)، وأما القاتل الذي أسلم فهو جبّار بن سلمى، كما في الفتح (٣٩٠/٧).
(٢) القصة في سنن الترمذي (٣٣٤٠).
(٣) الباعث على هذا الموضوع (طوفان الأقصى) في السابع من أكتوبر، ٢٢ ربيع الأول ١٤٤٥.

الفوز إلا في الغنيمة ولعاعة الدنيا، ولا يتمنى إلا ذلك الكسب القريب. وتدور أسباب الفوز في القرآن على: العمل الصالح، والصدق، والولاية بين المؤمنين، وخشية الله وتقواه، والجهاد في سبيله بالمال والنفس، والصبر على الإيذاء والاستهزاء، وطاعة الله ورسوله وقول السداد، والوفاء بالبيعة مع الله الجليل.

الفوز شيء، والنصر شيء آخر؛ الفوز فردي وجماعي، سبيله الصلاح الفردي في القلب والسلوك، وكلهم آتيه يوم القيامة فردًا. أما النصر فيكون جماعيًا، وهو يتطلب تضافر قلوب المؤمنين، وتقوّي بعضهم ببعض أولياء، دون ركون إلى الظالمين، مع إعداد المستطاع من القوة ومن رباط الخيل إرهابًا لعدوّ الله وعدوِّهم.

ومهما اجتهد المؤمنون في الإعداد والسعي والجهاد، فإن للنصر سُنَنًا وقوانين لله، هي في عالم الغيب وتصاريف القدر المكتوم عن البشر، مثله مثل الرزق والشفاء والحياة والموت. وفي طريق النصر: مجازر، وضحايا، ومعاقون، ومشردون، وأيتام، وبائسون.. (أمتي هذه أمةٌ مرحومةٌ، ليس عليها عذابٌ في الآخرةِ، عذابُها في الدنيا الفتنُ والزلازلُ والقتلُ)[1]، ومع ذلك فهي تبقى موقنة بالنصر، متيقنة أن توقيته من شأن الخالق لا المخلوق، وأنه محكوم بسنن الله وحكمته في مداولة الأيام، وإظهار المصدّقين، واتخاذ الشهداء، وتمحيص المؤمنين، ومحق الكافرين، واستبدال المعرضين.

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٧٨).

الصفحة السابقة | الفهرس | الصفحة التالية

بين يدي النصر فوز معنوي عاجل يتمثل في تأييد الله عباده ودفاعه عنهم بألطافه، من الربط على قلوبهم، واطمئنانها بفوز الآخرة، ورعب العدو، ونزول السكينة، ومشاركة الملائكة، والتوبة على بعض الكافرين.. ثم يأتي التمكين والاستخلاف بعد مسيرة طويلة تتجلى فيها الحقائق للمناوئين، وتتتابع فيها صفوف المناصرين.

وذلك الختام الذي يسعد به المجموع إنما هو نتيجة صلاح المجموع، حين تصير السيادة للشريعة على النفوس، ويطبق الناس شرع الله في نفوسهم وفيما بينهم، حتى تعمّ روح الوحي ونوره حياتهم كلها، في أفكارهم ومشاعرهم وكلماتهم ومواقفهم وسلوكهم، وتعاملاتهم وتجارتهم وصفقاتهم وبيعهم وشرائهم، وزواجهم وطلاقهم وإنجابهم ومناسباتهم، وتربيتهم وتعليمهم وإنتاجهم وتوظيفهم، وخططهم ومشاريعهم واستراتيجياتهم وتطبيقاتهم، وأبحاثهم ودراساتهم ومقاييسهم ومؤشراتهم، وعقودهم وخلافاتهم ومشكلاتهم وحلولهم، وإدارتهم وإعلامهم واقتصادهم وسياستهم.

فإذا صدقوا الله فهم قطعًا فائزون، في الآخرة منصورون، على طريق النصر في الدنيا سائرون، وإليه صائرون، في موعده المكنون، وقانونه المصون.
ولمثل هذا فليعمل العاملون.

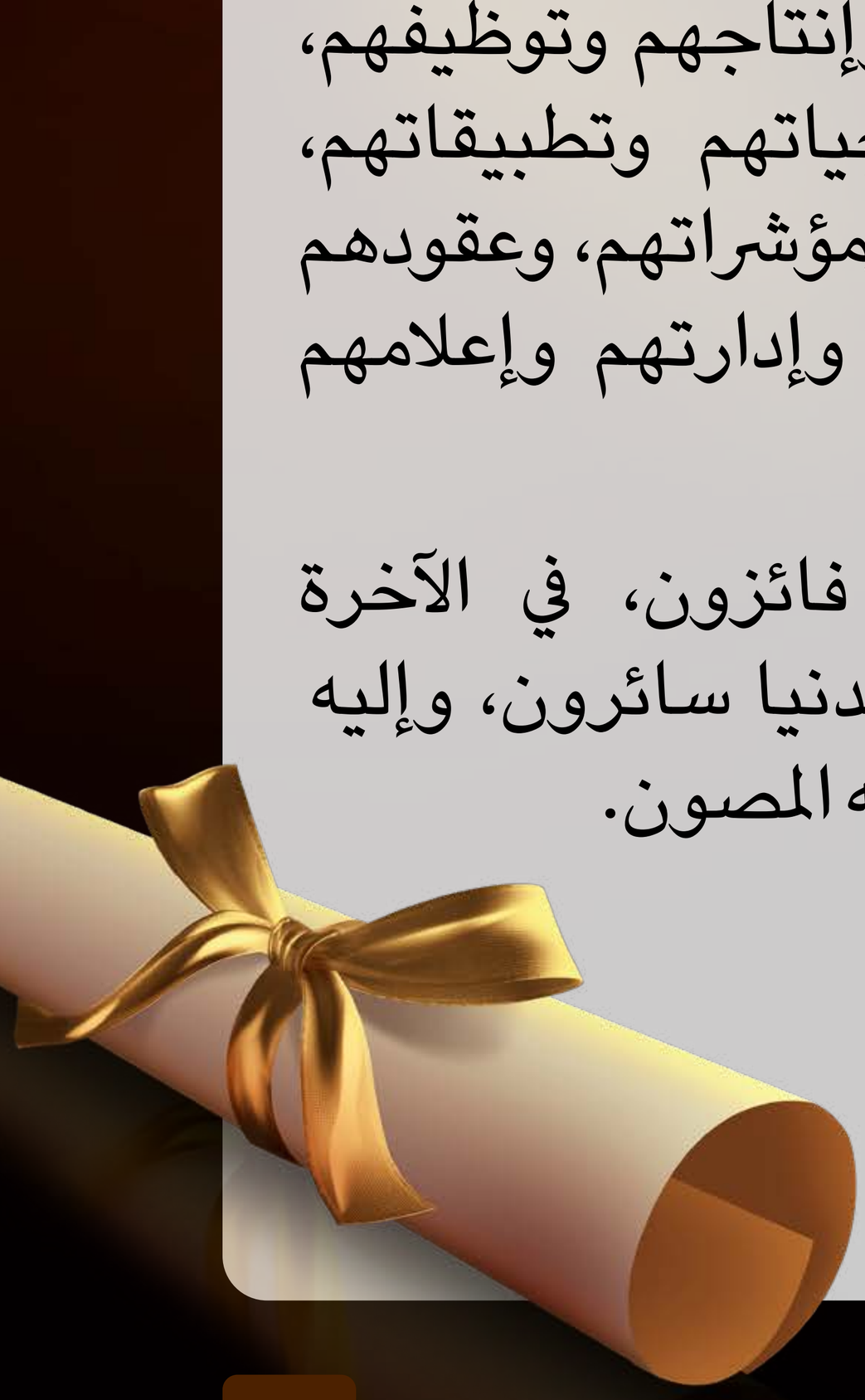

رواء

ترحب مجلة رواء بمقالاتكم العلمية والفكرية
ضمن المحاور الأساسية للمجلة

ويشترط ألا يزيد حجم المادة المرسلة عن ٣٠٠٠ كلمة، وأن تكون المادة مكتوبة أصالة للمجلة
وغير منشورة من قبل، وأن تراعى فيها سياسات النشر في المجلة

كما ترحب المجلة بخواطركم القصيرة ضمن زاوية (بأقلام القراء)

ترسل المقالات والمواد إلى البريد الإلكتروني:
rawaa@islamicsham.org

rawaamagazine

www.rawaamagazine.com